الخلافة
فى خطاب أتاتورك

تقديم وتعليق

الدكتورة ماجدة مخلوف

دار الآفاق العربية

الخلافة في خطاب أتاتورك

تقديم وتعليق
الدكتورة ماجدة مخلوف

دار الآفاق العربية

الطبعة الأولي
١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢ م

رقم الإيداع	٢٠٠١ /١٤٧٩١
I. S. B. N الترقيم الدولى	977 -344 -008 -7

دار الآفاق العربية
٥٥ شارع محمود طلعت من شارع الطيران - مدينة نصر
القاهرة - ت : ٢٦١٠١١٤

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدى الكتاب

مصطفى كمال أتاتورك، مؤسس الجمهورية التركية الحديثة، ولد فى سالونيك[١] عام ١٨٨١م، ومات فى قصر "طولمه باغجه"[٢] فى استانبول عام ١٩٣٨م. وهو أول رئيس للجمهورية التركية التى أعلن قيامها سنة ١٩٢٣ .

حرص أتاتورك خلال سنوات حكمه التى بلغت خمسة عشر عاما، أن يعيد صياغة ما تبقى من الدولة العثمانية ، وقامت عليه الدولة التركية الجديدة لتصبح دولة عصرية، أى تحتذى بالنموذج الغربى فى قوانينها ومؤسساتها، وأن يهيئ للشعب التركى شتى الأجواء الفكرية والاجتماعية والسياسية التى تساعده على استيعاب النقلة الحضارية الجديدة التى رسمها له أتاتورك، والتى كانت مختلفة كليا وجزئيا عن المرحلة العثمانية.

وفى هذا السبيل بذل أتاتورك كل الجهد ، حتى استطاع أن يزيل من طريقه كل المعوقات، وأن يحقق للشعب التركى ما كان يخطط له فى أخريات أيام الدولة العثمانية، وقبيل توجهه إلى صامسون عام ١٩١٩ وهو " تأسيس دولة تركية جديدة مستقلة استقلالا تاما بلا قيد أو شرط، وتستند على الحاكمية الملية "[٣].

---

[١] مدينة سالونيك (فى اليونان الآن)، كانت أكبر مدينة عثمانية بعد استانبول . تتميز سالونيك بارتفاع نسبة اليهود بين سكانها، فقد استوطنوها بعد سقوط الأندلس، وفرارهم إلى الأراضى العثمانية فى القرن السادس عشر، وفيها مشأت جماعة الاتحاد والترقى ، كما كانت مقرا للمحافل الماسونية فى الدولة العثمانية.

[٢] قصر طولمه باغجه سراى، واحد من أفخم القصور العثمانية، شيده السلطان عبد المجيد الأول على طراز الباروك تقليدا للقصور الأوروبية ، وفى هذا القصر مات أتاتورك سنة ١٩٣٨.

[٣] غازى مصطفى كمال ، نُطُق، تورك طياره جمعيتنى، انقره ١٩٢٧، ص٩. وهى النسخة التى =

بعد نجاح أتاتورك فى طرد الحلفاء، والظفر بالوطن التركى الحالى، وهو ما تبقى من أنقاض الدولة العثمانية بعد حرب الاستقلال، ولكى يتحقق للشعب التركى الاستقلال الكامل، ويتمكن من ممارسة الحاكمية الملية، ولكى يتمكن من الاشتراك فى مؤتمر لوزان ، قام أتاتورك بإلغاء السلطنة، وإسناد اختصاصاتها إلى مجلس الشعب التركى الكبير . وعقب مغادرة السلطان وحيد الدين استانبول على ظهر بارجة حربية انجليزية فى عام ١٩٢٢، اتهمه أتاتورك بالخيانة الوطنية. وفى عام ١٩٢٤م، أعلن أتاتورك إلغاء الخلافة الإسلامية ، ليبدا بذلك صفحة جديدة من تاريخ الشعب التركى .

والهدف الذى أردناه لهذا البحث يتمثل فى :

١) تقديم ما قاله أتاتورك عن الخلافة فى خطابه، وهى الدليل السياسى للجمهورية التركية، والذى وضع فيه أتاتورك فلسفته الشخصية، ومحصلة ثقافته.

٢) التعليق التاريخى على ما جاء فى خطاب أتاتورك والخاص بموقفه من الخلافة نظريا وعمليا .

٣) مناقشة علمية موقف أتاتورك من الأمور ذات الصلة بالخلافة، مثل التاريخ العثمانى، والسلطان محمد وحيد الدين، والخليفة الأخير عبد المجيد الثانى، وعملية تحديث تركيا، والاتجاه بها إلى اللحاق بركب المدنية الغربية.

ونهدف فى إطار هذه الدراسة إلى طرح إجابات لعدة تساؤلات تثور فى الأذهان بخصوص الخلافة فى خطاب أتاتورك ، ألا وهى :

١) لماذا لم يلجأ وحيد الدين – عندما قرر الخروج من استانبول – إلى أنقرة فى كنف

= اعتمدنا عليها فى هذا البحث، وسوف نختصر التوثيق عند الرجوع اليها الى (نُطُق).

الحكومة الجديدة، وفضل الخروج على ظهر بارجة انجليزية، خاصة وأن مصطفى كمال، كان يتمتع بعلاقة جيدة مع وحيد الدين منذ أن كان وليا للعهد، وكان يتمتع بثقته الكبيرة حتى أنه كلفه بمهمة تنظيم المقاومة فى الأناضول، واختاره دون غيره لهذه المهمة؟ .

٢) لماذا لم يحاول أتاتورك أن يدعم مركز الخلافة بدلا من أن يشن عليها هذا الهجوم الذى انتهى بإلغائها؟ .

٣) لماذا يضحى السلطان الخليفة وحيد الدين بموقعه كسلطان وخليفة - وهو الذى تربى فى كنف السلطان عبد الحميد ، وتثقف ثقافة عثمانية أصيلة ويستمد كل كيانه من موقعه كسلطان وخليفة للمسلمين - ويغادر عاصمة الخلافة ، على الرغم من أنه لم يحقق أى مكاسب مادية أو معنوية من خروجه من استانبول ؟ .

ويأتى هدفنا الأساس، وهو إضافة هذا النص الهام إلى المكتبة العربية. وهو النص الذى يشغل بال المفكرين من مختلفى الاتجاهات الفكرية، والذى يعنيهم دراسة الخلافة وأتاتورك سواء بالسلب أم بالإيجاب ، وهو نص كما نعتقد فى غاية الأهمية أن يحتل مكانته فى مكتبتنا العربية.

وقد مهدنا للخطاب بتمهيد عن العثمانيين والخلافة، حرصنا فيه على توضيح مفهوم الخلافة عند العثمانيين باعتبارها تجسيدا لفكرة عالمية الدولة، وهى فكرة أصيلة فى الشخصية التركية. ثم التعريف بالخطاب ، وأهميته فى فهم فكر أتاتورك وفلسفته فى بناء الدولة التركية الحديثة، وجعلنا القسم الثانى من البحث للترجمة العربية لما ورد فى خطاب أتاتورك عن الخلافة، وما ورد فيه بشأن الخلافة ورموزها، والدين، والتاريخ الإسلامى، والسلطان وحيد الدين، والتعليق عليه تعليقا تاريخيا، وذلك بهدف عرض وجهة النظر الأخرى فى للوقائع التى بنى عليها أتاتورك موقفه من الخلافة، وبذلك نكون قد ألقينا الضوء على ثقافة أتاتورك، وفكره، والعوامل

التى أثرت فيهما .

ونود الإشارة هنا إلى أن ما ذكره أتاتورك عن الخلافة جاء متفرقا في هذا الخطاب، وقد أشرنا إلى موضع كل فقرة منه إلى الصفحة التى ورد فيها .وذلك فى الحاشية عند نهاية الفقرة، كما التزمنا عند الترجمة بالمحافظة عن روح الفترة التى كتب فيها الخطاب من حيث الألفاظ حتى يمكن لنا أن نتمثل اللغة التى كتب بها الخطاب. والتزمنا أيضا بعدم التدخل فى سياق الجملة إلا فى أضيق نطاق ، وكان تدخلنا عبارة عن إضافة كلمات رأيناها ضرورية لفهم أو توضيح المبهم من العبارة ، ووضعنا ما أضفناه على النص من كلمات بين قوسين ( ) .

القاهرة – النزهة الجديدة   والله من وراء القصد .

٢٠٠١

القسم الأول

تقديم

نطق

غازی مصطفی کمال

طرفندن

ایکنجی اللی بیک

تورکیه‌ده طبع ونشری حقی تورک طیاره جمعیتنه تودیع بویورولمشدر

آنقره

١٩٢٧

العثمانيون والخلافة

فى منتصف القرن الثالث عشر الميلادى (السابع الهجرى، اجتاح المغول بغداد ودمروا مقر الخلافة العباسية والسلطنة السلجوقية هناك عام ٦٥٩هـ = ١٢٥٨م ، ولجأ الخلفاء العباسيون إلى مصر حيث الدولة المملوكية، و بذلك انتقل مقر الخلافة الإسلامية إلى القاهرة حيث يقيم الخليفة العباسى متمتعا بسلطة دينية مجردة من السلطنة التى كانت فى أيدى الدولة المملوكية.

وفى عام ٦٩٩هـ = ١٢٩٩م أسس الأمير عثمان بن أرطغرل الإمارة العثمانية فى غرب الأناضول على الثغور البيزنطية. وكان هذا الموقع الثغرى منطلقا لتحركات الأمير عثمان ضد البيزنطيين، تحرك الأمير عثمان ليغزو من أراضى البيزنطيين ويضيف إلى إمارته. هذه التحركات ضد البيزنطيين ، جعلت الإمارة العثمانية إمارة مجاهدة ، ولقب الأمير عثمان بلقب الغازى، وهو لقب له دلالة جهادية[٤] .

استطاع الغازى عثمان بمشورة من اجتمعوا حوله من العلماء أن يرسم الخطوط الأساسية لسياسة إمارته ، والتى تضمنتها وصيته إلى ابنه أورخان. وهذه الوصية تبين فلسفة الحكم عند العثمانيين، وأساسها ؛ الانقياد للشريعة أى العمل بها ، والجهاد فى سبيل الله ، و إقامة العدل، والعمل بمشورة العلماء[٥] .

---

[٤] كان الأمير عثمان يلقب أيضاً" فخر الدين" و" معين الدين"، انظر،
Yilmaz Oztuna, Osmanlı Devleti Tarihi, Faısal Finans Kurumu Yayını, Istanbul ١٩٨٦, s.٦

[٥] أوصى الأمير عثمان ولده "بالانقياد للشرع الشريف فى كل الشئون ، ومشورة أهل الرأى فى=

التزم الأمراء العثمانيون الأول بهذه الفلسفة، وخرج الأمراء على رأس الجيوش للجهاد، ووجهوا فتوحاتهم ناحية البيزنطيين فى (دار الحرب)، واستطاعوا خلال فترة الإمارة التى امتدت من ١٢٩٩ إلى ١٣٩٢م (٦٩٩-٧٩٥هـ)، أن يوسعوا رقعة الإمارة المسلمة على حساب الدولة البيزنطية[٦]، ووقع الأمير مراد الأول، شهيدا فى ميدان الحرب فى قوصوة سنة ٧٩١هـ = ١٣٨٩م، بعد أن حقق النصر على القوات الصليبية المتحالفة ضد العثمانيين[٧].

* الهام من الأمور"، والإغداق على العلماء " الذين هم دعائم الإسلام" واحترامهم "و" تعظيم أوامر الله والشفقة على خلق الله " و"إعلاء كلمة الله" و" الجهاد والغزوفى سبيل الله"، انظر، أحمد جودت ، تاريخ جودت أز ترتيب جديد، مطبعة عثمانية، استانبول، ١٣٠٢، ح١، ص٢٨. وقد نشر محمد حرب ترجمة وصية الأمير عثمان ونصها كالتالى " يابنى! إياك أن تشتغل بشيئ لم يأمر به الله رب العالمين. وإذا واجهتك فى الحكم مُعضلة فاتخذ من مشورة علماء الدين موئلا. يابنى! أحط من أطاعك بالإعزاز. وأنعم على الجنود، ولا يغرنّك الشيطان بجندك وبمالك، وإياك أن تبتعد عن أهل الشريعة. يابنى! إنك تعلم أن غايتنا هى إرضاء الله رب العالمين، وأن بالجهاد يعم نور ديننا كل الآفاق، فتحدث مرضاة الله جل جلاله. يابنى! لسنا من هؤلاء الذين يقيمون الحروب لشهوة حكم أو سيطرة أفراد، فنحن بالإسلام نحيا وللإسلام نموت، وهذا ياولدى ما أنت أهل له. انظر، محمدحرب، العثمانيون فى التاريخ والحضارة ، دار القلم ، دمشق، ١٩٨٩، ص ١٦ . وجدير بالذكر هنا ، ان مهام الخليفة فى الإسلام فى مجملها موجهة إلى " حفظ الدين من التبدل والحث على العمل به وحفظ ديار الإسلام والدفاع عن الأمة من عدو الدين أو باغى نفس أو مال وعمارة البلدان و اختيار خلفائه فى الأمور على أن يكونوا من أهل الكفاية والأمانة عليه" انظر، محمد سلام مدكور، مباحث الحكم عند الأصوليين،دار النهضة العربية ، ط٢، ١٩٦٤، ص ٣٢٣، ٣٢٤. وأيضا، عبد العزيز جاويش، الخلافة الإسلامية ، مطبعة العدل ، دار الخلافة العظمى، ١٣٣٤، ص٩.

[٦] من أهم المدن التى فتحها العثمانيون اثناء فترة الإمارة التى امتدت من سنة ١٢٩٩ احتى سنة ١٣٩٦، مدينة بورصه ١٣٢٦، إزنيق ١٣٢٩، غاليبولى ١٣٥٤، أدرنه ١٣٦١ والتى اتخذوا منها عاصمة لهم لوقوعها على الثغور المجاورة للإمارات المسيحية فى البلقان. انظر،
Ismail Hami Danişmend, Izahlı Osmanlı Tarihi Kronolojisi, türkiye yayınevi,istanbul, ١٩٧١,c١,s.١٢, ١٧,٢٨,٣٩.

[٧] كان الأمير مراد العثمانى يقود الجيش العثمانى وكان موقعه فى قلب الجيش وكان التحالف الصليبى الموجه ضد العثمانيين فى قوصوة يضم أشهر الملوك والأمراء ومنهم لازار ملك الصرب، وصهره براتكوفيتش، وتفراتكو ملك البوسنة، وكنت لم تدخل بعد فى حوزة الإسلام ، وملوك المجر والأفلاق، انظر،
Ismail Hakkı UzunçarşıLı, Osmanli Tarihi, Türk Tarih Kurumu, Ankara, ١٩٧٢,c.١,s.٢٥٥.

ويصف المؤرخ العثمانى نشرى هذه المعركة فى كتابه "جهاننما"، وصفا يعكس مفهوم الجهاد*

حصل بايزيد الأول (٧٩١– ٨٠٤هـ= ١٣٨٩–١٤٠٢م) من الخليفة العباسي على لقب سلطان الروم ، وكان ذلك تعبيرا عن تقدير الخليفة لجهوده ضد الصليبين[8] .

واصل السلطان محمد الثاني حركة الفتوح الإسلامية في الروملي ، وقضى على الدولة البيزنطية قضاءً كاملا بفتح القسطنطينية عام ٨٥٧ هـ = ١٤٥٣م[9]، واستحق بذلك لقب "الفاتح" و "أبو الفتح والمغازي"[10] .

وفي مطلع القرن السادس عشر الميلادي ، العاشر الهجري، بدأ نشاط الدولة الصفوية الشيعية الناشئة ، لنشر المذهب الشيعي بين الأتراك في آسيا الوسطى ، الأجزاء الشرقية من الدولة العثمانية في الأناضول، مما حدا بالسلطان سليم الأول إلى التحرك لقتال الشاه اسماعيل

المستقر في الفكر العثماني فيقول" أخذ الكفار يتصايحون، ويعترضون طريق الغزاة، فلما صار الغزاة والكفار وجها لوجه، وأحاط الغزاة بالكفار ، فلاذ الكفار بالفرار، وانقض الأمير بايزيد (ابن الأمير مراد الأول) بقوته على الكفرة كالصاعقة..." انظر،

Ismail Hakkı UzunçarşıLı,a.g.e.,c١,s.٢٥٥

[8] في عام٧٩٨هـ= ١٣٩٦م ، وعقب انتصار السلطان بايزيد الثاني على المجر في موقعة نيكوبولي، منح الخليفة العباسي في القاهرة المتوكل على الله (الأول) ، بايزيد الأول لقب "سلطان الروم" لأن منطقة الأناضول كانت تسمى باسم بلاد الروم ، وبذلك أصبح الأمراء العثمانيون يحملون لقب سلطان،

bak,Ismail Hami Danişmend, , c.١,s. ١٠٧.

[9] يصف منجم باشي هذا فتح القسطنطينية، بأنه " فتح جليل لم يتيسر لأحد من ملوك الإسلام" ، انظر، منجم باشي احمد دده، جامع الدول،مخطوط بايزيد رقم ٥٠٢٠ ٢، ورقة، ٤٦٣ب.

[10] انظر، منجم باشي ، جامع الدول مصدر سبق ذكره، ورقة ٤٦٣/أ. وقد أرسل السلطان الفاتح ، رسالة إلى السلطان المملوكي في القاهرة يزف إليه نبأ دخول القسطنطينية حظيرة الإسلام ، وتحقيق بشرى النبوة بفتحها بالحديث النبوي الصحيح " لتفتحن القسطنطينية ، فلنعم الأمير أميرها ونعم الجيش ذلك الجيش"، الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده (٥٣٢/٤) " فازدانت القاهرة من أقصاها إلى أقصاها، واستمرت الزينة عدة أيام " احتفالا بهذه المناسبة ، انظر ، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٥٦، ج٧، ص٢٧٧–٢٧٨.،وأيضا،

Muhammed Harb, I. Selim'in ve Mısır Seferı, Doctora Tezi, Istanbul Ün.,Eedebiyat Fak., Istanbul ١٩٨٠.s. ١٦,ve, Ismail Hakkı UzunçarşıLı,a.g.e., c١,s. ٤٩٣,

الصفوى[11]، وأخذ على عاتقه مسئوليّة " اقتلاع دولته من على وجه الأرض"[12] والقضاء على "الملاحدة القزلباشية"[13] لأنه لم يتحمل أعباء السلطنة إلا لهذه الغاية. وانتصر السلطان سليم الأول عليهم فى جالديران عام ١٥١٤م، ودرأ بذلك خطر الشيعة عن العالم الإسلامى السُّنّى. واحتفل المسلمون فى مصر والشام بنصر العثمانيين[14].

ثم سعى الشاه إسماعيل للتّحالف مع السلطان المملوكى قنصوة الغورى ضد العثمانيين، وتأكد السلطان سليم من هذا الأمر[15]، فاستفتى العلماء فى الأمر فافتوه[16]، فكان الفتح العثمانى للشام عام ٩٢٢ هـ = ١٥١٦، ومصر عام ٩٢٣ هـ = ١٥١٧م. و أرسل شريف مكه من تلقاء نفسه، مفاتيح الكعبة إلى السلطان سليم أثناء وجوده فى مصر، لتصبح الحجاز فى عُهدة الدولة العثمانية[17].

استعان العثمانيون فى تحقيق هذه الفتوحات بجيش دقيق التنظيم، اشهر وحداته كانت

---

[11] كان الشاه اسماعيل الصفوى يوصف فى كتب التاريخ العثمانية بأنه " الملحد"، ومذهبه بالإلحاد، وأتباعه بالملاحدة ،انظر، منجم باشى، جامع الدول، سبق ذكره، ورقة ٤٩٤ب، ٤٩٥ب

[12] انظر، أحمد جودت، تاريخ جودت ، مرجع سبق ذكره ، ج١، ص٣٢.

[13] انظر، منجم باشى ، جامع الدول، ج٢،ورقة ٤٩٤ب

[14] أنظر Ismail Hakkı Uzunçarşili,a.g.e.c٢,s.٢٧٩

[15] bak. Muhammed Harb, a.g.e.,.s. ١٠٨-١١١.

[16] جمع السلطان سليم طائفة من العلماء لمشاورتهم فى أمر مساعدة السلطان الغورى للشاه إسماعيل وموقف الشرع من هذه المساعدة وسألهم " ما أمر من يمدون يد المساعدة لطائفة القزلباش" ، فأفتوه بأن " من يساعدون ويظاهرون طائفة القزلباش ، فهم منهم " فتحرك السلطان سليم الأول لقتال الغورى بموجب هذه الفتوى، خاصة بعد أن قبضت المخابرات العثمانية على جواسيس الشاه اسماعيل الصفوى وهم فى طريقهم إلى مصر ليسلموا الغورى رسائل خاصة بالتحالف ضد العثمانيين، انظر، Muhammed Harb, a.g.e., s. ١١١,

وأيضا، أحمد فؤاد متولى، الفتح العثمانى للشام ومصر ومقدماته من واقع الوثائق والمصادر التركية والعربية المعاصرة له، دار النهضة العربية، ١٩٧٦، ص١٢٤.

[17] انظر، منجم باشى، ورقة ٥٠٠ب.

الإنكشارية[١٨]، وفتحوا مدن البلقان والمجر تحت راية العدالة العثمانية[١٩] . وعمروها فأنشأوا المدارس والجوامع والأسبلة والتكايا، وكان العلماء يحيطون بالسلطان العثماني في السلم والغزو[٢٠]، وكانوا أصحاب المشورة في كل شئون الدولة وأصحاب الفتوى والنظر في القوانين التي يصدرها السلاطين العثمانيون. وانتظمت مؤسسات الدولة في إطار شرعي على رأسه شيخ الإسلام[٢١] .

حركة الفتوح العثمانية هذه تعبر عن مفهوم مستقر في فكر ووجدان الأتراك قبل قيام الدولة العثمانية. فقد أعتبر مؤرخو الترك – منذ أول دولة تركية إسلامية، وهي دولة القراخانيين، حتى أخر دولة تركية إسلامية، وهي الدولة العثمانية – أنه قُدِّر على أمتهم حمل لواء تكتيل كل المسلمين تحت راية واحدة، أو بمعنى آخر الجامعة الإسلامية هي – في نظرهم – القيادة التركية، وهذا المفهوم عُرف باسم أيديولوجية الدولة العالمية المرتبطة بفكرة الجهاد وإعلاء كلمة الله[٢٢] .

---

[١٨] " كان نواب السلطان ينتخبون من أولاد الكفار من يتفرس منه الصلاحية للحراب والضراب ، ويتوقع منه الشجاعة والجلادة، وعين لهم وظيفة ... وأنعم عليهم السلطان إنعاما بالغا بحيث رغب كثير من الكفار في تسليم أولادهم إلى الخدمة بحسن اختيارهم ، فأسلم عالم عظيم من الكفار وصار ذلك فضيلة باهرة للعثمانيين على سائر الدول" انظر، منجم باشى ورقة ٤٣٣ب، ٤٣٤أ.

[١٩] "يعبر منجم باشى عن هذه العدالة بقوله" كانت رعية كل بلد يلتمسون أن يدخل بلادهم تحت حكم السلطان (العثماني) لكمال عدله وإنصافه.... وأظهر سليمان باشا في تلك الديار والنواحي العدل والنصفة بحيث تأسف أهلها على أيامهم الماضية .... وحرّم على العسكر النهب والغنايم" انظر، منجم باشى، نفص المصدر، ج٢، ورقة ٤٣٤أ.

[٢٠] اصطحب السلطان محمد الفاتح أثناء توجهه لفتح القسطنطينية " خلقا كثيرا من العلماء والمشايخ، منهم الشيخ آق شمس الدين والمولى الكوراني، وغيرهم من العلماء ، وهم الذين أشاروا عليه بالثبات في الحصار والقتال وبشروه بالفتح، كما اصطحب السلطان سليم الأول أثناء فتح مصر شيخ الإسلام إبن كما لباشا،، انظر، منجم باشى، ج٢، ورقة ٤٦٣ب، ٤٦٤أ .

[٢١] Bak,Adbulkadir Altünsu, Osmanlı Seyhülislâmları,ankara ١٩٧٢,s.٤٤.

[٢٢] في تفصيل هذا المفهوم، انظر، محمد حرب، موقف العلماء من السلطة، رؤية بديع الزمان سعيد النورسي في إطار أدب شئون الحكم العثماني والتركي، بيت الحكمة ، القاهرة، ١٩٩٧، ص٩.

واستقر فى وجدان العثمانيين أن الغزو والانتصار هو " إظهار لشوكة الإسلام والمسلمين" وفى سبيل الله[٢٣] . وأن واجبهم حماية المسلمين خارج حدود دولتهم، وكذلك حرصهم على حماية الدين بدفع " الملاحدة" و "الكفار"، وإقامة العدل، وعمارة البلدان ، والعمل بالشريعة. كما تمثل معنى الخلافة فى حماية الحرمين الشريفين[٢٤] ، وتأمين طرق الحج، والدفاع عن الإسلام والمسلمين، ووضعهم تحت حمايتهم ، وامتزج هذا المفهوم بتقاليد الجهاد الإسلامى. و من هذا المنطلق تحمّل العثمانيون قيادة العَلم السُّنّى وحمايته ومسئولية الواجب الدينى ضد الصفويين فى الشرق، والأوروبيين فى الغرب[٢٥] .

استقرت فى الفكر العثمانى مفاهيم الخلافة قبل أن تنتقل الخلافة إليهم ، وذلك فى إطار مفهوم عالمية الدولة الإسلامية ومهام الخلافة، فكان الفتح العثمانى لمصر فى زمن السلطان سليم الأول عام ٩٢٢ هـ = ١٥١٧م ، وانتقال الخلافة الإسلامية إلى العثمانيين[٢٦] ، أمرا طبيعيا، وإن لم

---

[٢٣] ونستدل هنا بما كتبه السلطان سليم عقب فتح مصر باللغة العربية : "لو كان لى أو لغيرى قدر أنملة فوق التراب لكان الأمر مشتركا" انظر، منجم باشى ، ورقة ٤٦١أ، ٥٠٠ب.

[٢٤] اهتم العثمانيون بتعمير الحرمين الشريفين، وتوسعتهما، وتأمين طرق الحجيج ، وإرسال الصرة السنوية لسكان الحرمين الشريفين، وأوقفوا أوقافا كبيرة للإنفاق عليهما، لتفصيل أكثر فى هذا الموضوع ، انظر محمد الأمين المكى، خلفا عظام عثمانية حضرتلرينك حرمين شريفينده كى آثار مبرورة ومشكورة همايونلرندن، در سعادت ١٣١٨هـ.

[٢٥] نصت المعاهدة بين السلطان بايزيد الأول ، الإمبراطور البيزنطى فى عام ٧٩٩هـ= ١٣٩٦م، على أن يكون فى القسطنطينية " محلة يسكن فيها المسلمون ويبنى لهم جامعا وينصب لهم إماما وخطيبا وقاضيا، انظرفريدون امجن، التاريخ السياسى للدولة العثمانية منذ قيام الدولة حتى معاهدة قينارجه الصغرى ، باب فى ،اكمل الدين احسان اكمل الدين احسان (اشراف وتقديم) الدولة العثمانية تاريخ وحضارة(مجموعة مؤلفين)، نقله إلى العربية صالح سعداوى، منظمة المؤتمر الاسلامى، مركز الابحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية، استانبول، ١٩٩٩، ج١، ص٣٤، ٣٥.

[٢٦] يذكر اسماعيل حامى دانشمند ، عددا من الروايات التى قيلت فى انتقال الخلافة إلى العثمانيين، وأن الخليفة العباسى المتوكل على الله محمد الثالث تنازل عن الخلافة إلى السلطان سليم الأول فى استانبول أوفى مصر، نذكر منها هذه الرواية :" أنه عندما اصطحب السلطان سليم الأول الخليفة العباسى معه إلى استانبول، اجتمع علماء الأزهر للنظر وتثبيت الأسس الدينية التى سيتم بموجبها إسناد الخلافة

يأخذ هذا الانتقال شكلا رسميا، أو احتفالا خاصا[٢٧]. وحدث التمازج بين السلطنة والخلافة بشكل تلقائي في السياسة العثمانية منذ عهد السلطان سليم الأول (١٥١١-١٥٢٠م). واكتسبت الخلافة عندهم مغزى جديدا يعكس فهمهم لها بمعناها الشامل[٢٨].

وبانتقال الخلافة إلى العثمانيين، استردت الخلافة الإسلامية ماهيتها الطبيعية والكاملة التي كانت عليها في زمن الخلفاء الراشدين والخلافة الأموية، وذلك باجتماع الخلافة والسلطنة، أي السلطتين الزمنية والدينية في السلطان العثماني[٢٩]

و في زمن السلطان سليمان القانوني طرُحت تساؤلات حول الماهية الشرعية لانتقال الخلافة إلى العثمانيين[٣٠]، أما بعد عهد القانوني لم يجد المسلمون داخل الدولة العثمانية

=إلى السلطان سليم الأول، وبعد ذلك اعتلى الخليفة العباسي منبر جامع آيا صوفيا، ونقل الخلافة إلى السلطان سليم، وألبسه بنفسه خلعته" انظر،

Ismail Hami Danişmend, a.g.e.,c.٢,s.٣٧-٣٨.

[٢٧] تعرض المستشرقون الأوروبيون لمناقشة مسألة انتقال الخلافة للعثمانيين، وشككوا فيها لعدم وجود ما يدل على ذلك، ومن أبرز من كتب في هذا الخصوص توماس أرنولد في كتابه عن الخلافة، ويتضمن الكتاب نفس الأفكار التي اعتمد عليها أتاتورك في إجراءاته وفهمه للخلافة، لمزيد من التفاصيل في هذا الموضوع انظر، توماس أرنولد، الخلافة، ترجمة جميل معلى، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، ١٩٤٦، ص- ص ٧٦-٩٦.

[٢٨] انظر، فريدون امجن، المرجع السابق، ج١، ص ٣٤،٣٥.

[٢٩] Hasan Gümüşoğlu, Islam'da Imamet ve Hilafet,Kayhan Yayınevi, Istanbul ,mayıs ١٩٩٩,s.٣١٦.

[٣٠] اعتمد أصحاب الرأي بعدم انتقال الخلافة إلى العثمانيين، على أن ابن إياس وهو المؤرخ المصري الذي شهد الفتح العثماني لمصر لم يذكر شيئا في هذه الصدد، وأن المراسلات التي تمت بين السلطان سليم الأول وابنه الأمير في ذلك الوقت، سليمان القانوني لم يرد فيها ذكر لهذا أيضا، غير أن كتاب سير السلاطين العثمانيين أشاروا في كتاباتهم المعرروفة باسم " سليمنامه لر" إلى اسم السلطان سليم مقرونا بلقب الخليفة" انظر أمثلة على هذا أوردها ١٦٣-١٦٦ Muhammed Harb, a.g.e., s. يرى احمد يشار اوجاق، " أن هناك إجماعا سواءفي العالمالإسلامىأو في العالم الغربي بعدعام١٥١٧م، على أن الخلافة انتقلت بالفعل إلى العثمانيين، ولأجل هذا فإن مسألة وجود شرط لاحتفال خاص أو عدمه ليست بمسألة ذات بال" انظر، أحمد يشار اوجاق، الحياة الفكرية من القرن الرابع عشر إلى القرن السابع =

وخارجها، ضرورة لمناقشة هذا الأمر بعد استقرار الخلافة للعثمانيين[٣١].

ولم يشعر العثمانيون بضرورة إبراز ألقاب الخلافة فى تعاملهم مع الدول الأوروبية من منطلق أن العالم الإسلامى المعنى بأمر الخلافة مستقر على أمر خلافتهم، والشعوب المسلمة كلها تحت لواء الدول الإسلامية على اختلافها. إنما كانوا يبرزون لهم الألقاب الدالة على القوة واتساع السلطان[٣٢].

انتقلت الخلافة إلى العثمانيين، وكانت الدولة العثمانية فى أوج قوتها فى القرن السادس عشر الميلادى (العاشر الهجرى)، فأكسبت الخلافة قوة سياسية كانت تنقصها فى نهاية الخلافة العباسية. واستمر العثمانيون فى حركة الفتوح الإسلامية وهم يحملون لواء الخلافة الإسلامية، فتوغل السلطان سليمان القانونى فى أوروبا حتى وصل إلى أسوار فيينا فى

=عشر، فصل فى، إكمل الدين احسان، مرجع سبق ذكره، ج٢، ص٢٣٧.

وقد كتب الصدر الأعظم لطفى باشا فى زمن السلطان القانونى رسالة بعنوان خلاص الأمة فى معرفة الأئمة، ناقش فيها مشروعية انتقال الخلافة إلى العثمانيين، بمناسبة التساؤلات التى ثارت بين الفقهاء فى ذلك الوقت حول هذا الموضوع، وانتهى فيها إلى أن العثمانيين هم الأجدر بالخلافة بعد العباسيين لتوافر شروطها فيهم، انظر، لطفى باشا، خلاص الأمه فى معرفة الأئمة، السليمانية، مخطوط ايا صوفيا ٢٨٧٧.

[٣١] يستند هذا الرأى على أن بعد رسالة لطفى باشا "خلاص الأمة فى معرفة الأئمة" لم تترفى كتب الفكر السياسى مسألة انتقال الخلافة إلى العثمانيين رغم أهميتها للعالم الإسلامى. إذا أن الرأى العام الإسلامى لم ير ضرورة لمناقشتها، إذ ليس هناك شئ طبيعى قد شغل العثمانيين لهذا المنصب، وهم الذين حاربوا فى سبيل المسلمين عدة قرون، وفى أيديهم الخلافة بالفعل حقا لسيوفهم، انظر، أحمد يشار اوجاق، نفس المرجع، ص ٢٣٧، ٢٣٨.

[٣٢] استخدم السلطان سليمان القانونى فى رسائله إلى ملك فرنسافرانسوا الأول الألقاب التالية "أنا سلطان السلاطين، وبرهان الخواقين، متوج الملوك ظل الله فى الأرضين سلطان البحر الأبيض والبحر الأسود والأناضول والروملى وقرمان الروم وولاية ذى القدرية وديار بكر وكردستان وأذربيجان والعجم والشام وحلب ومصر ومكة والمدينة والقدس وجميع ديار العرب واليمن وممالك كثيرة أيضا ..." وذلك للدلالة على قوة السلطنة فى مواجهة الغرب، انظر، محمد فريد، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق احسان حقى، دار النفائس، بيروت، ط٥، ١٩٨٦، ص٢١٠.

عام ٩٤٦ هـ = ١٥٢٩م، وخرج فى ثلاث حملات على إيران لوقف الخطر الصفوى الشيعى[٣٣]. وحرص العثمانيون على إبراز هيبة وقوة الإسلام فى مخاطبتهم لملوك وحكام أوروبا ، ونشط الأسطول العثمانى فى شرق البحر المتوسط ليصد هجمات الأسبان عن شمال أفريقيا[٣٤] والبرتغاليين عن مسلمى الهند[٣٥]. وتصدى السلطان سليم الثانى لاعتداءات البرتغاليين على المسلمين فى المحيط الهندى وماليزيا وأندونيسيا، وهى مناطق خارج نطاق الدولة العثمانية سياسيا[٣٦].

وفى منتصف القرن السابع عشر، بدأت مظاهر ضعف الدولة ، وكانت ميادين الحرب هى المؤشر المباشر لهذا الضعف. وشغل مقام السلطنة بعد القرن السابع عشر سلاطين انشغلوا بمشكلاتهم الداخلية عن مهام الخلافة، فأصاب الخلافة ما أصاب السلطنة من وهن، وضعُفت الهيئة العسكرية بضعف الجيش، واجترأ الجند على السلاطين، وأعلنوا العصيان، بل وقتلوهم

---

٣٣ خرج السلطان سليمان القانونى بنفسه على رأس الجيش العثمانى فى حملاته على بلجراد ١٥٢١، رودس ١٥٢٢، المجر ١٥٢٦، فيينا ١٥٢٩، المانيا ١٥٣٢، قورفو ١٥٣٧، البغدان (مولدافيا) ١٥٣٨، بودين ١٥٤١، استراخان ١٥٤٣، وسكتوار ١٥٦٦م. كما خرج السلطان لمحاربة الصفويين فى سنوات ١٥٣٣، ١٥٥٤٨، ١٥٥٣م.انظر،

Yilmaz öztuna, Osmanli Devleti Tarihi, Istanbul ١٩٨٦,c.١,s. ١٨٤-٢٥٩.

٣٤ اشتهر أمير البحر خير الدين باباروس قائد البحرية العثمانية فى زمن السلطان القانونى بدوره القوى فى حماية مسلمى شمال أفريقيا ، لتفصيل ذلك انظر:

Mustafa Nuri, Netayic Ul -Vukuat, Türk Tarih Kurumu, Ankara ١٩٧٩, c.I-II.s. ٩٨-٩٩.

٣٥ أرسل همايون شاه حاكم كجرات وسلطان الدولة التيمورية فى الهند، ومن بعده ابنه أكبر شاه إلى السلطان سليمان القانونى باعتباره خليفة المسلمين ، يشكون إليه تهديد البرتغاليين لـهم وحصارهم لشواطئهم. انظر،

Mustafa Nuri, a.g.e.,c.I-II.s.٩٩.

٣٦ انظر: Ismail Hakkı Uzunçarşili, a.g.e., c٢,s.٥١٥

أحيانا. وضعُفَت الهيئة العذ... بضعف المدرسة العثمانية وما استتبعه من ضَعف نظام التربية العثماني، وضعُفَت الهيئة الإدارية بضَعف الهيئتين السابقتين لارتباطها بهما.

و اضطرت الدولة العثمانية للمرة الأولى في تاريخها، أن تتنازل عن سلطتها السياسية في منطقة القرم لروسيا بموجب معاهدة كوجوك قينارجه عام ١٧٧٤م، واهتم السلطان عبدالحميد الأول بإبراز مقام الخلافة تأكيدا على حماية الدولة العثمانية المعنوية لأهل القرم من المسلمين التتار، باعتبارها دولة الخلافة الإسلامية[٣٧].

و شهد القرن التاسع عشر أطماع الدول الأوروبية في العالم الإسلامي، وتأثر المثقفون داخل الدولة العثمانية بتيارات الأفكار الوافدة من الغرب إلى العالم الإسلامي، وتبنوا الفلسفات الغربية، وسرى بينهم تيار الفكر القومي الذي لا يتناسب مع تكوين الدولة العثمانية التي تضم قوميات مختلفة[٣٨]، ونشطت البعثات التبشيرية الأميريكية والفرنسية، بشكل هدد بصورة مباشرة كيان الدولة العثمانية [٣٩].

اتجهت جهود السلطان عبد الحميد الثاني (١٢٩٤ - ١٣٢٧هـ = ١٨٧٦-١٩٠٩ م) إلى

---

[٣٧] انظر، Hasan Gümüşoğlu,a.g.e., s.٣١٧ وقد تضمنت المادةالثالثة من معاهدة كوجوك قينارجة أن :" .... تعترف وتقبل(روسيا) على الا تتبع الطائفة المرقومة (التتار) أحدا غير الله البارئ . لكن الطائفة المذكورة (التتار) هي من أهل الإسلام، وكون ذاتي.... هي إمام المسلمين وخليفة الموحدين، فإنها توجب على الطائفة المرقومة أن لايقع خلل في الحرية الممنوحة لدولتهم وبلدهم،ويجب أن تنظم لأهلها أمورهم المذهبية من طرفي الهمايوني بمقتضى الشريعة الإسلامية" ، انظر، احمد جودت ، تاريخ جودت ، مرجع سبق ذكره، ج١، ص ٢٨٥.

[٣٨] كانت الدولة العثمانية تضم شعوبا مسلمة من قوميات الترك والعرب والأكراد، والبوشناق، والأرناؤوط ، والجراكسة ، وغيرهم، وكانت رابطة الخلافة الإسلامية هي التي تجمعهم في إطار الدولة العثمانية.

[٣٩] في تفصيل الوضع العام داخل الدولة العثمانية في زمن السلطان عبد الجميد، انظر، محمد حرب، السلطان عبد الحميد الثاني، آخر السلاطين العثمانيين الكبار، اعلام المسلمين ٣٠،ط١، دار القلم دمشق، ١٩٩٠، ص- ص٩٢-١١٢.

مقاومة المشكلات التى تعانى منها الدولة العثمانية على المستوى الفكرى، ومقاومة الاستعمار الغربى للعالم الإسلامى. وذلك عن طريق جمع كل مسلمى العالم فى رابطة واحدة، يتمكن بها من التصدى للحركة الاستعمارية الغربية، ومقاومة الفكر القومى الذى من شأنه تمزيق الدولة العثمانية. ويستطيع من خلالها إقامة رابطة قوية تربطه بالمسلمين خارج نطاق الدولة ممن أصبحوا تحت الحكم الأوروبى[٤٠] .

اتخذ السلطان عبد الحميد إجراءات لتقوية الخلافة الإسلامية لتستعيد هيبتها، ولم يكن السلطان عبدالحميد يهدف من هذا إلى إقامة رابطة سياسية تضم كل بلاد المسلمين فى وحدة سياسية واحدة، إنما يهدف إلى إحياء الوحدة الشعورية بين شعوب المسلمين جميعا من خلال فكرة الجامعة الإسلامية[٤١]، وحرص على تأكيد ارتباطه وحمايته للمسلمين فى المناطق التى خرجت من حوزة الدولة العثمانية[٤٢]، أو لم تكن ضمن حدود الدولة العثمانية أبدا[٤٣]. واستمر السلطان عبد

---

[٤٠] Bak.,Ihsan Süreyya Sırma, II Abdülhamidin Islam Birliği Siyaseti, Acar Matbaaci,istanbul ١٩٨٥,s.٣٤.

[٤١] انظر، محمد حرب، السلطان عبد الحميد، ص١٦٨، ١٦٩.

[٤٢] أثبتت المعاهدة التى تمت مع النمسا بعد أن ضمت البوسنة والهرسك عام ١٩٠٨ أن " اسم السلطان يجب أن يستمر ذكره كخليفة فى صلاة الجماعة، ويبقى رئيس العلماء الذى يشرف على القضايا الدينية فى البوسنة والهرسك على حاله الأولى فيتبع دائرة شيخ الإسلام فى القسطنطينية (أى استانبول) وعليه أن ينال وثيقة التعيين منه " انظر، توماس أرنولد، الخلافة، مرجع سبق ذكره، ص ١٠٩.

[٤٣] كان المسلمون فىتركستان الشرقية وكانت تحت السيادة الصينين يبلغ عددهم فى عام ١٩٠٠ سبعين مليون نسمة وهو عدد يقارب عدد المسلمين فى الدولة العثمانية فى ذلك الوقت، واستطاع السلطان عبد الحميد أن يقوى الرابطة بهم، وأرسل مبعوثيه إلى هناك لتنشيط فعاليات الجامعة الإسلامية التى كان يدعو إليها، وفى إطار هذه الفعاليات أنشأ جامعة إسلامية فى بكين وكان فى بكين ثمانية وثلاثين مسجدا، قال سفير فرنسا هناك فى تقريره " إن فى بكين الآف المسلمين يترددون على الجوامع خمس مرات فى اليوم ليعبدوا الله ويدعون للخليفة". عن علاقة السلطان عبد الحميد الثانى بالمسلمين فى تركستان الشرقية، انظر،

,Ihsan Süreyya Sırma,a.g.e.,s.٦٦-١٠٠.

الحميد فى اتباع هذه السياسية إلى أن تمكنت جماعة الاتحاد والترقى من تكوين الحكومة عام ١٣٢٦ هـ = ١٩٠٨ ، ثم خلع السلطان عبد الحميد الثانى فى العالم التالى .

الظروف التاريخية التى أحاطت بإلغاء الخلافة العثمانية :

دفعت حكومة الاتحاد والترقى بالدولة العثمانية إلى أتون الحرب العالمية الأولى ١٣٣٣ هـ= ١٩١٤م، وانهزمت ١٣٣٧ هـ = ١٩١٨م، واضطرت الحكومة العثمانية الجديدة التى تكونت فى أوائل حكم السلطان وحيد الدين[٤٤] إلى توقيع هدنة موندروس فى ١١ أكتوبر ١٩١٨، وهى "هدنة ثقيلة الشروط"[٤٥] . وهرب رجال هذه الحكومة إلى خارج البلاد . وأُلقِى على كاهل السلطان وحيد الدين تبعات هذه الحرب والهزيمة. خاصة بعد أن احتلت قوات الدول الأوروبية المنتصرة ومعهم اليونانيون عددا من المدن العثمانية الهامة[٤٦] .

تكونت فى الأناضول مجموعات للمقاومة الشعبية بصورة غير منظمة، لكنها كلها تهدف إلى غاية واحده هى، إنقاذ الخليفة ، ومقاومة الاحتلال[٤٧] .

كان مصطفى كمال فى ذلك الوقت يتمتع بشهرة كبيرة باعتباره قائدا عسكريا قديرا

---

[٤٤] تولى السلطان وحيد الدين الحكم فى ٨ يوليو ١٩١٨.

[٤٥] انظر، نُطُق، ص٣ .

[٤٦] احتلت انجلترا اورفه ومرعش وعينتاب والموصل واستانبول وتواجد جنودها فى مرزيفون وصامسون ، واحتلت فرنسا اطنه . واحتلت إيطاليه انطاليا وقونيه واحتل اليونانيون مغنيسيا وآيدين وإزمير .

[٤٧] يقول أتاتورك أن الشعب والجيش فى ذلك الوقت "كانوا مطيعين وصادقين ، نتيجة الروابط الدينية والتقليدية التى جذّرتها العصورفى وجدانهم تجاه ذلك المقام ومن يحتل ذلك المقام. وبينما الشعب الجيش أثناء تفكيرهم فى سبيل للخلاص، كانوا يفكرون بدافع هذا الاعتياد الموروث فى إنقاذ مقام السلطنة و الخلافة العلية قبل تخليص أنفسهم"، انظر، نُطُق، ص٧.

وبطل معركة جناق قلعة [٤٨]، وموضع إعجاب السلطان منذ أن كان وليا للعهد [٤٩]. بل إنه كان السلطان عبد الحميد الثانى نفسه معجبا بأتاتورك لكونه " أحد الباشوات الذين بيضوا وجه الدولة" [٥٠]. وكان السلطان وحيد الدين قد تربى فى كنف السلطان عبد الحميد الثانى، وتمثل فكره السياسى، لذا اتجه وحيد الدين إلى دعم مجموعات المقاومة فى مناطق الأناضول البعيدة عن العاصمة بشكل غير معلن، واختار لهذه المهمة الضابط الذى حَظِى بإعجاب أخيه السلطان عبد الحميد الثانى ، وبإعجابه وإعجاب الشعب أيضا، وكان هذا الضابط هو مصطفى كمال.

توجه مصطفى كمال إلى الأناضول باعتباره نائبا عن السلطان "لتأييد مصونية الأمة" " والتحرك كجسد واحد" " لتخليص الوطن من أيادى المعتدين " [٥١]. وأعطاه السلطان

---

[٤٨] جناق قلعة وتعرف أيضا باسم القلعة السلطانية أو قلعة الدردنيل، وكان السلطان عبد الحميد الثانى قد اهتم بتقويتها فى سنوات حكمه لأنه كان يعرف أنها مفتاح الأمان لحماية استانبول وأن تقويتها يساعد على صد أى اعتداء يقع على الدولة العثمانية ويستهدف العاصمة استانبول. وفى معركة جناق قلعة وصل أسطول أقوى دولتين بحريتين فى العالم فى ذلك الوقت وهما انجلترا وفرنسا أمام جناق قلعة، وجرت حرب ضروس هناك، واستطاع مصطفى كمال أن يستفيد من تحصين القلعة ويصد قوات العدو ويكلفه خسائر كبيرة . وبسبب هذا الانتصار أصبح أتاتورك يتمتع بشهرة عسكرية وشعبية كبيرة، انظر، عبد الحميد الثانى(السلطان) ، المذكرات، إعداد محمد حرب ، كتاب الهلال ، القاهرة ١٩٨٥، ص، ١٨٩-١٩٢.

[٤٩] قال ولى العهد وحيد الدين عندما تم تعيين أتاتورك ليكون ياورا له أثناء سفره إلى ألمانيا "إنه محظوظ وممتن لأن يكون فى رفقته بطل معركة جناق قلعه" انظر،
Cemal Kutay, Talat Paşa'nın Gurbet Hatıraları,ikinci Baskı, c.٢, s.١٥٥٣. ، وانظر أيضا،
Murat Bardakçı, şahbaba, Pan Yayıncılık, yedinci basım, kasım ١٩٩٩,s.٤٩٨.

[٥٠] يقول السلطان عبد الحميد بعد انتصار جناق قلعة ، وكان مخلوعا عن العرش فى ذلك الوقت، " أحرز هذا النصر العظيم أمير الآى اسمه مصطفى كمال بك ، رضى الله عما قدمه للدولة فى هذا العمل" انظر، عبد الحميد الثانى (السلطان) ، المذكرات، مرجع سبق ذكره، ص ١٩٣.

[٥١] وقد اختتم وحيد الدين خطابه الفرمان الذى أعطاه لمصطفى كمال ليتوجه بموجبه إلى =

صلاحيات مدنية وعسكرية واسعة[٥٢]، ليتمكن من تنظيم مجموعات المقاومة الشعبية فى حركة واحدة منظمة تحت إدارته لطرد قوات الاحتلال. ولكى ينجح أتاتورك فى هذه المهمة ينبغى أن يبدو معارضا لحكومة استانبول الواقعة تحت سيطرة قوات الاحتلال، بينما يسعى فى الواقع لاستقلال الوطن بموجب مرسوم السلطان[٥٣].

فى نفس الوقت وضع أتاتورك برنامجا تحرك بموجبه طوال تسع سنوات ، هذا البرنامج يرتكز على التصدى بالسلاح للذين يعتدون على موطن أجداد الترك، وعلى استقلال الترك أياً ما كانوا، بل والصراع معهم[٥٤].

خرج أتاتورك من استانبول ووصل إلى صامسون فى ١٩ مايو ١٩١٩م = ١٣٣٨هـ. ومنذ هذا التاريخ، بدأ اتاتورك فى الصراع مع كل من تصور أنه عدو للوطن، واتخذ الخطوات اللازمة لاستقلال الشعب التركى، وتحقيق الحاكمية الشعبية ، وهى الخطوات التى أدت إلى إلغاء السلطنة فى الأول من نوفمبر سنة ١٩٢٢ م (١٣٤١هـ).

وفى ٢٩ أكتوبر ١٩٢٣ م =١٣٤٢هـ، تم اعلان الجمهورية التركية، واختير أتاتورك أول رئيس لها ، مع استمرار وجود الخليفة عبد المجيد الثانى.

أراد أتاتورك أن يحمى الجمهورية التركية أبديا وقطعيا من أى اعتداء محتمل يمس استقلال

=الأناضول بقوله " يجب أن نتحرك كجسد واحد، وأن تبلغ سلامى السلطانى إلى الجند والمواطنين" انظر نص هذا الفرمان فى،

Ziya Nur Aksun, Osmanlı Tarihi, ötüken Neşriyat, istanbul, ١٩٩٤,c.٦,s.٣٦٤.

[٥٢] هذا قول أتاتورك نفسه إن السلطان أعطاه صلاحيات واسعه تمكنه من إعطاء الأوامر للولايات و للقطاعات العسكرية فى المناطق المجاورة للمنطقة المكلف بمهمة التفتيش بها، انظر،kطق ، ص٥.

[٥٣] انظر، Ziya Nur Aksun, a.g.e., s.٣٦٦.

[٥٤] نطق ، ص ٩.

إرادتها وحاكميتها ، وقرر أنه بعد قيام الجمهورية،" لم يعد هناك أي معنى سياسي أو ديني أو حكمة لوجود الخليفة ومقام الخلافة"[٥٥] ، فأصدر حزب الشعب الجمهوري الذي أسسه أتاتورك ، اقتراحا بإلغاء الخلافة الإسلامية، وإخراج الأسرة العثمانية إلى خارج تركيا، وبالفعل تم إلغاء الخلافة الإسلامية في ٣ مارس ١٩٢٤م = ١٣٤٣هـ.

ثانيا : خطاب أتاتورك:

خطاب أتاتورك ، ويسميه الأتراك "نطُق" هو الخطاب الذي ألقاه أتاتورك في المؤتمر الكبير الثاني لحزب الشعب الجمهوري عام ١٩٢٧، واستغرق إلقاؤه ستة أيام متالية من ١٥ إلى ٢٠ أكتوبر[٥٦].

استغرق أتاتورك شهرا في كتابة هذا الخطاب[٥٧]، جمع خلاله كل ما يود أن يتضمنه الخطاب باعتباره خلاصة فكره وتجربته . استعرض أتاتورك دوره في حرب الاستقلال منذ أن وطأت قدمه صامسون في ١٩ مايو ١٩١٩م، حتى عام إلغاء الخلافة الإسلامية عام ١٩٢٤م. والمراحل التي مرت بها حرب الاستقلال ويقدم فيه تفصيلات كثيرة حول أهم الأحداث التي أحاطت بإلغاء السلطنة العثمانية ، وعقد مؤتمر لوزان في العام نفسه، ثم إعلان الجمهورية التركية في العام التالي، ثم إلغاء الخلافة الإسلامية سنة ١٩٢٤م، والمبادىء التي اتخذتها الحكومة الكمالية أساسا للجمهورية. ويتضمن عددا من المراسلات التي تمت في تلك الفترة بين أتاتورك وقواد

[٥٥] نُطُق ، ص ٥١٢.

[٥٦] bak, Gazi Mustafa Kemal, NUTUK, devlet bsasımevi, istanbul, ١٩٣٨.

[٥٧] Riza Nur, Hayat ve Hatıratlm, altlndağ yayınevi,istanbul ١٩٦٧,c٤,s.١٥١٩.

الجيش، ويقدم الأسباب التى وجدها أتاتورك ضرورية للقيام بالخطوات التى سبقت وأحاطت وأعقبت إعلان الجمهورية التركية. وفى هذا الخطاب يشرح أتاتورك فلسفته فى بناء الدولة التركية الحديثة، ووجهة نظره فى الدولة العثمانية تاريخيا وسياسيا وحضاريا، ورأيه فى الخلافة والدين ومشروعه البديل للخلافة الإسلامية. تناول أتاتورك الخلافة والموضوعات المتعلقة بالخلافة تاريخيا وفكريا فى القسم الأخير من الخطاب، وذلك بعد أن استعرض بالتفصيل الصراع الذى خاضه ضد الخليفة من أجل تحقيق الاستقلال للشعب وكل الأسباب التى رآها ضرورية لإلغاء السلطنة العثمانية، ثم الخلافة التى هى من آثار الدولة العثمانية التى أضرت – حسب قوله بالشعب التركى – واستعرض أيضا دورة فى وضع الأسس التى قامت عليها الجمهورية التركية بعد أن ساعد الشعب فى إزالة كل ما يعوق الاستقلال والحاكمية الشعبية، وقيام الجمهورية التركية.

كما عرض اتاتورك فى الخطاب وجهات النظر المختلفة التى أحاطت بقراراته الثورية مثل إلغاء السلطنة و الخلافة، أوجعل تركيا دولة العلمانية. فعرض رأى المؤيدين والمخالفين له، وتبين من الخطاب أن أتاتورك كان قويا فى مواجهة كل من يعوق مسيرته نحو تحقيق الحاكمية الشعبية واستقلال إرادة الشعب التركى [٥٨] .

و يعتبر خطاب أتاتورك هو المصدر الأساس لمعرفة الملامح الفكرية لأتاتورك رغم تعدد وجهات النظر حول هذا الخطاب وتعرضه للنقد ، سواء بعض من زملاء أتاتورك، أو من بعض الكتاب المعاصرين [٥٩] .

---

[٥٨] كان أتاتورك مصمما على نقل الحاكمية للشعب ولهذا هدد بالموت ، الفقهاء الذين أجتمعوا وقرروا عدم شرعية فصل السلطنة عن الخلافة. انظر، نُطق ، ص ٤٢٢.

[٥٩] يقول رضا نور فى تعليقه على خطاب أتاتورك: إن كثير من المسائل التى عرض لها مصطفى كمال فى خطابه، كتبها خطأ، وكثير من الوقائع تغافل عنها. وفى كل سطر يظهر نفسه بأنه هو فقط الذى =

طُبع الخطاب للمرة الأولى بالحروف العربية سنة ١٩٢٧م [٦٠]. وأعيد طبعه بعد ذلك بالحروف اللاتينية سنة ١٩٣٨.

إجراءات أتاتورك لإلغاء الخلافة كما وردت فى الخطاب :

كان أتاتورك قد كَوّن رأيه عن الخلافة قبل أن يقوم بفصلها عن السلطنة، ثم إلغائها بعد ذلك. فالخلافة كما وصفها قبل إلغائها بأربع سنوات "كانت بلاءً فوق رؤوس الأتراك" [٦١].

تكتم أتاتورك ما كان يهدف إليه، وكان يؤكد حرصه على الخلافة والسلطنة لأنهما فى

صنع كل شئ. وطبع فى ذلك الكتاب الوثائق التى تكون فى مصلحته فقط. ولم يضع فيه مـا لا يتفـق مـع مصالحه من وثائق. ويتضح من قراءة هذا الخطاب أن الرجل يغالط فى الأحداث ويبدلها بحيث تكـون فـى صالحه ، إنه له جرأة فى تزييف التاريخ. رضا نور، حياتى وذكرياتى.كما وصـف محمـد دوغـان خطـاب أتاتورك ، بأنه"ادعاء بل ويمكن اعتباره ايضا اتهام وجهه أتاتورك لأكثر من ٤٠٠ شخصية تاريخيـة فـى عهده، وقسم كبير منهذا الاتهام سلبى، ولم تعط الفرصة لأى من هذه الشخصيات بالدفاع عن نفسها "انظر، محمد حرب، المثقف وتغيير نظام الحكم ، مرجع سبق ذكره ،ص١١٢/١٣٣،

Mehmet Doğan,Kemalizm,Esra yay. Konya ١٩٩٤,s.٣٦-٣٧.

ويرى محمد حرب أن خطاب أتاتورك هذا هو الوثيقة الأهم لفهم فكر وحركة أتـاتورك، انظـر، محمد حرب ، المرجع السابق ،نفس الصفحة.ويقول شوكت ثريا آيدمير " إن ما قاله أتاتورك فى الخطـاب عن رفاق الكفاح القدامى ، كان بلا شك قاس وغير منصف وفيه إدانة لهم. لكن هذا يساعد على فهم الحالة الروحية لأتاتورك الذى لم كان حتى تاريخ هذا الخطاب (١٩٢٧) مجرد رجل عسكرى وليس رئيس دولة. كان يلف أتاتورك فى ذلك التاريخ إحساس اسطورى ، وكان يرى الأحداث والبشر من زاويته هو. كذلـك الوثائق التى ألحقها بالخطاب كانت تخضع لتقديره هو. ونطق وثيق سياسية أودعها أتاتورك ثنايا التاريخ من خلال وجهة نظره هو " انظر،

Sevket Süreyya Aydemir, Ikinci Adam, Remzi Kitabevi, ٧ Basım, Istanbul ١٩٩٣,c.١,s.

[٦٠] يقع خطاب أتاتورك فى هذه الطبعة العثمانية فى ٥٤٣ صفحة من القطع الكبير.

[٦١] قال أتاتورك هذا المقول عند الخلافة فى يناير من عام ١٩٢٠، أى عقب توجهه إلى صامسون بحوالى ثمانية شهور وقتما كان يقود حرب الاستقلال فى الأناضول ، وقبل خلع السلطان وحيد الدين ، انظر Enver Ziya Karal, Atatürk'ten Düşünceler, Devlet kitapları,istanbul ١٩٨٦, s.٣٥

وهذا الكتاب عبارة عن الكلمات التى قالها أتاتورك بنفسه فى مناسبات مختلفة ، نقلا عن:
Arar Ismail, Atatürk'ün Izmit Basın Toplantısı,s.٤١.

وجدان الوطن[٦٢] . وكانت فلسفته في تنفيذ إجراءاته تعتمد على "تقسيم تطبيقات القرار إلى مجموعة صفحات، وتهيئة مشاعر الشعب وأفكاره بالاستفادة من الوقائع ومجريات الأمور ، والسير نحو الهدف خطوة خطوة ، وتطبيق كل مرحلة عندما يحين وقتها"[٦٣]. وتنفيذ كل خطوة في الوقت المناسب لها .

استغل أتاتورك مجريات الأحداث لتنفيذ إجراءاته. وكانت الدعوة التي وجهتها دول الائتلاف إلى الحكومة العثمانية في استانبول، وإلى حكومة مجلس الشعب التركي الكبير في انقرة لحضور مؤتمر لوزان، وكان خروج وحيد الدين من استانبول، هو الفرصة المناسبة لتجريد الخلافة من سلطتها الزمنية بإلغاء السلطنة. فاعتمد على الخطوات التالية :

أولا : تحريض الأتراك ضد السلطنة العثمانية باعتبار أن السلطان العثماني (حسبما يقول أتاتورك) أصبح خصما لا يؤمن جانبه لحركة الكفاح الوطني، ولأنه (كما يصفه أتاتورك) خائن للشعب التركي ، ولأنه الأداة التي يستخدمها الأعداء ضد الوطن والشعب[٦٤] .

ثانيا : تجريد الخلافة من سلطتها الزمنية، بفصلها عن السلطنة . وقد ألقى أتاتورك خطابا أمام مجلس الشعب الكبير في الأول من نوفمبر ١٩٢٢، يُعرب فيه عن احترامه لمقام الخلافة ، ثم يسوق الأسباب الموجبة لفصلها عن السلطنة . أبرز ما جاء في هذه الخطاب هو ما يلي :

---

[٦٢] قال مصطفى كمال في خطبته الأولى أمام مجلس الشعب التركي الكبير: "إن الغاية الأولى لجهادنا لا تستهدف الفصل بين مقام السلطنة ومقام الخلافة، بل تستهدف الإعلان للأعداء أن إرادة الأمة ضد هـــذا الفصل، وتستهدف تخليص المقامات المقدسة من الأسر انظر، الرجل الصنم، نقلا عن جريدة اورطه طوغو ٢٩ إبريل ١٩٧٤.

[٦٣] نُطُق ، ص ١١.

[٦٤] انظر، نُطُق ، ص ١٠، ٣٥٢.

– إن مقدرات الشعب لا توضع فى يد فرد بشكل مباشر من خلال السلطنة والحاكمية الفردية، إنما من خلال مجلس الشعب التركى الكبير الذى يمثل السلطنة والحاكمية الشعبية[٦٥].

– إن تخفيف الخليفة من أعباء الحكم ، سيساعد على إبراز عِزة وشموخ الرابطة الروحية التى تربط الأتراك بالعالم الإسلامى، وسيظل الخليفة رفيع المكانة فى تركيا ، ويستند على دولة تركية ، يقوم فيها مجلس الشعب مقام السلطنة[٦٦].

وتأكيد لحسن موقفه من الخلافة بالشكل الجديد ، أى الخلافة المحرومة من القدرة العملية، أخذ أتاتورك يوضح أهمية الخلافة بالنسبة للعالم الإسلامى، فقال: " إن أمر الخلافة أكبر مصلحة للمِلّة الإسلامية، فالخلافة النبوية ، هى الإمارة التى تربط بين المسلمين، والتى تؤمّن اجتماع المسلمين على كلمة واحدة"[٦٧].

عقب هذا الأجراء، ثار قلق كبير بين المسلمين بشأن مستقبل الخلافة، سواء داخل تركيا أو خارجها ، وقد حرص أتاتورك فى البداية على تهدئة هذا القلق أمام أعضاء مجلس الشعب التركى الكبير[٦٨] ، ثم ضاق ببعض تصرفاتٍ مارسها السلطان عبد المجيد الثانى من خلال مكانته كخليفة، فاتخذها أتاتورك ذريعة لإلغاء الخلافة[٦٩].

---

[٦٥] انظر،أتاتورك، خلافت وسلطنت مسئله سسى حقنده توركيا بيوك ملت مجلسى رئيسى غـازى مصطفى كمال باشا حضرتلرينك نطقلرى ، قسطمونى مطبعه سى، ١٣٣٨، ص١١، ١٤.

[٦٦] نفس المرجع السابق ، ص١٤.

[٦٧] انظر، نفس المرجع السابق ، ص٦.

[٦٨] انظر، نُطق ، ص ٤١٩.

[٦٩] من هذه التصرفات خروج الخليفة فى موكب لأداء صلاة الجمعـة ، وارتدائـه زى السلطان الفاتح ، أي القفطان والعمامة ولقائه بممثلى الدول الإسلامية باعتباره خليفة المسلمين، فى تفصيـل هـذا انظر، نُطق ، ص ٥١٢، ٥١٤.

نقد أتاتورك للسلطان الخليفة وحيد الدين كما ورد في الخطاب :

ركز أتاتورك نقده للسلطان وحيد الدين في التالي :

- إن وحيد الدين بعد احتلال استانبول لم يفكر سوى في انقاذ عرشه وسلامته الشخصية .

- إن وحيد الدين خائن للوطن .

وقد رسم أتاتورك صورة وحيد الدين في خطابه على النحو التالي: يقول أتاتورك: "إن وحيد الدين "إنسان سافل"، اعتلى مقامَيْ السلطنة والخلافة بموجب " نظام توارث سقيم"[70] وبعد هزيمة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى، وهروب رجال الاتحاد والترقي خارج البلاد . كان وحيد الدين " مذعورا يبحث عن إجراءات دنيئة تخيل أن يضمن بها حياته وعرشه فقط"[71] ، وبالتالي فإن خلعه من السلطنة ضرورة " فمن الحزن أن يكون مخلوق مُنحَط مثل وحيد الدين على رأس أي أمة ولو لمدة دقيقة أخرى"، وذلك بعد أن هوى بالشعب التركي وهو شعب أصيل عزيز النفس " إلى هذا الوضع المخجل" ، لكي يحافظ على حياته "بشكل سافل" استباح كل أنواع الذل للأمة التركية التي كانت على امتداد تاريخها مثالا للحرية والاستقلال"[72] .

ويدعم أتاتورك نقده لوحيد الدين بأن وجوده في مقام الخلافة يمثل خطرا على الشعوب الإسلامية كلها[73] .

---

[70] نُطُق ، ص ٤٢٣.

[71] انظر نُطُق ص٣ .

[72] انظر، نُطُق ، ص ٤٢٣.

[73] يقول أتاتورك : " باستطاعة مخلوق عاجز بليد الحس ومحروم من الإدراك أن يقبل الدخول في حماية دولة أجنبية، لكن ليس من المقبول أبدا القول بأن يحمل مخلوق كهذا صفة خليفة للمسلمين ...لأن وجوده في هذا المقام سيوقع الشعوب الإسلامية كلها في الأسْر" انظر، نُطُق ، ص ٤٤٢٣.

القسم الثانى
الترجمة والتعليق

في اليوم التاسع عشر من شهر مايو سنة ١٩١٩، وصلتُ إلى مدينة صامسون. في ذلك التاريخ كان الوضع في البلاد بمنظره العام، على النحو التالي:

مجموعة دولتي الوسط[٧٤] التي انضمت إليها الدولة العثمانية خسرت الحرب العمومية، وتشتت الجيوش العثمانية في كل مكان، ومسها الضر. وهدنة ثقيلة الشروط[٧٥] (أجبرت الدولة) على توقيعها. الشعب منهك القوى، فقير معوز مما عاناه

---

[٧٤] دارت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ بين مجموعتين من الدول هما ، دولتي الوسط وكانت تضم ألمانيا والإمبراطورية النمساوية وانضمت إليهما الدولة العثمانية بعد ذلك، ومجموعة دول الوفاق وكانت تضم انجلترا وفرنسا وروسيا ثم انضمت إليهما إيطاليا .انظر، عبد العزيز سليمان نوار، وعبد المجيد نعنعي، التاريخ المعاصر ، أوروبا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية دار النهضة العربية،، بيروت ١٩٧٣.

[٧٥] هذه الهدنة هي هدنة موندروس التي وقعتها حكومة الاتحاد والترقي مع قوات الائتلاف (انجلترا - فرنسا - إيطاليا) في ١١ أكتوبر سنة ١٩١٨ عقب هزيمة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى ، وعقب اعتلاء السلطان وحيد الدين العرش بحوالي شهرين . وقد وقع المعاهدة عن الدولة العثمانية ممثلا لحكومتها ، رؤوف أورباي أحد الشخصيات البارزة في الحركة الكمالية، وأحد المقربين لأتاتورك، ، وكان وزيرا للبحرية في ذلك الوقت. وتضمنت هذه الهدنة شروطا أهمها، فتح المضايق التركية، ونزع الأسلحة الثقيلة من البحرية العثمانية ومن الجيش بصفة عامة، ووضع كل وسائل الاتصال في الدولة العثمانية مثل البرق والسكك الحديدية تحت رقابة دول الائتلاف. أما أهم هذه الشروط فكان النص صراحة على أن يمكن لدول الأئتلاف أن تحتل من الأراضي التركية المواقع التي تجدها ضرورية من الناحية الأمنية. انظر،

. Celâl Bayar ,Ben De Yazdım, ikinci baskı,istanbul ١٩٦٧,s.٨٣-٨٦.

قد وقع رؤوف بقبول هذا الشرط على مسؤوليته ،بعد أن انتهت المهلة التي أعطاها له الحلفاء لاستطلاع رأي استانبول بشأنها ، دون أن يتلقى ردا منها، .Celâl Bayar.a.g.e.,s.٧٩وقد استغلت قوات الائتلاف هذا الشرط الأخير ، واتخذته ذريعة لاحتلال أطنه وأنطاليا وإزمير والموصل واستانبول بعد ذلك . وكان موقع أتاتورك أثناء .توقيع هذه الهدنة قائدا للجيش السابع ، ثم أصبح قائدا لجيوش العاصفة التي كانت في في جبهة فلسطين ضد الجيش الانجليزي . وكان يتولى قيادتها في البداية المارشال ليمان فون ساندرز قائد القوات الألمانية ثم ترك قيادتها إلى أتاتورك. وقدهُزمت جيوش العاصفة أمام القوات الإنجليزية ، وقد نجحت بدورها في احتلال فلسطين ولبنان وسوريا، انظر، =

خلال سنوات الحرب العظمى، وهى سنوات امتدت طويلا . وأصاب الهلع هؤلاء الذين ساقوا الشعب ودفعوا بالبلاد إلى هذه الحرب العمومية ، فخافوا على حياتهم ،وتركوا البلاد هروبا منها .أما وحيد الدين وهو ذلك الرجل الذى شغل منصبى السلطنة ومقام الخلافة[٧٦]، فكان مذعورا يبحث عن إجراءات دنيئة تخيل أن يضمن بها حياته وعرشه فقط[٧٧] . والحكومة برئاسة الصدر الأعظم الداماد فريد باشا[٧٨]، عاجزة، وفاقدة

= Selahattin Tansel, Mondoros'tan Mudunya'ya Kadar,c١, Istanbul ١٩٩١,s.٣٧.ve, Yeni Türk Ansiklopedisi, Istanbul ١٩٨٥,c.٧,s.٢٤٥٠ ,c.١,s.٢٢٩...

. يصف السلطان وحيد الدين هذه الهدنة بأنها هدنة مشئومة، وأنها منشأ ومصدر كل المصائب التى حدثت بعد ذلك. انظر،

Kadir Mısıroğlu, Hilâfet.Sebil Yayınevi,Istanbul ١٩٩٣, s.١٩٠,١٩١

[٧٦] الخلافة هى رياسة عامة فى أمور الدين والدنيا نيابة عن النبى عليه الصلاة والسلام. ويسمى الخليفة أيضا إماما تشبيها للخلافة بإمامة الصلاة لأن النبى قبيل وفاته أناب عنه أبو بكر ليؤم الناس فى الصلاة. وتتم الخلافة بالاختيار وعند جمهور المسلمين بالانتخاب والبيعة ويرى جمهور الفقهاء أن إقامة المسلمين لولى الأمر ليرعى شئون المسلمين ويوجه سياسة الدولة، ويقوم على تنفيذ أحكام الشرع، هو فرض من فروض الدين انظر،

محمد سلام مدكور، المدخل للفقه الإسلامى، ط١، ١٩٦٠، ص٢/٧٨.

و يقول الماوردى إن الإمامة موضوع لخلافة النبوة فى حراسة الدين وسياسة الدنيا، وعقدها واجب لمن يقوم بها فى الأمة بالإجماع.انظر، الماوردى، الأحكام السلطانية و الولايات الدينية، ، مكتبة البابى الحلبى ، ط١، القاهرة ١٩٦٠، ص٥..

[٧٧] يقول السلطان وحيد الدين فى هذا الصدد :" ببفى بداية اشتعال الحرب العمومية، أبديت عدم الرضا الكامل عن اشتراك دولتنا فيها، وبذلت الجهد طوال فترة استمرارها ، لاتخاذ كل الوسائل للحد من تخريباتها ومضارها. وعندما بدأت العواقب الوخيمة للحرب العمومية فى الكشف عن نفسها بشكل واضح، فى ذلك الوقت توفى أخى (السلطان محمد رشاد) وتبوأت بدورى مقام الخلافة والسلطنة. فى تلك الأيام التى توليت فيها، كانت المشكلات التى تواجهنا على درجة قصوى من الأهمية. وبدأت جبهاتنا الميدانية فى السقوط واحدة تلو الأخرى. وكان أركان الاتحاد والترقى الذين استقروا على رأس إدارة دولتنا منذ عام ١٩٠٨، والمتصور أنه هو المنقذ، كانوا يقومون بأعمال النهب والاحتكار مستفيدين من حالة الحرب، وبسبب الحرائق التىاشتعلت لمقاصد غير مفهومة كانت تهدر ،وبصورة مفزعة عصارة حياة الأمة وتمحى وجودها فى كل نقطة بشكل بلغ أقصى الحدود. وأمام هذه الفجائع كان الهدف الذى ستوجه إليه المساعى بالطبع هو الصلح وإعادة المسالمة ولا شيئ سوى هذا. ولم يكن من الجائز حدوث أى تراخ فى=

منبارهـا، وخانعـة لإرادة السـلطان فقـط، راضيـة بـأى وضـع يمكـن أن يحميـها ويحمـى شخاصها معها[٧٩].

عدة منظمات فى استانبول تحمل عناوين مختلفة منها الفرقة ومنها الجمعية، كونت بأهداف مختلفة منها الخفى ومنها العلنى، وكانت جمعية مُحبى الانجليز[٨٠] وحدة من هذه المحاولات التى كان يمكن اعتبارها هامة. وينبغى ألاّ يُفهم من هـذا الاسـم أنها الجمعية التى شكلها الذين يحبون الانجليز! والرأى عندى هو أن الذيـن

= سبيل تأمين هذا المقصد، واستخدام كل وسيلة ممكنة. لكن المنتفعين من استمرار الحرب فى بلادنـــا الذين تجاوزا دائما دائرة حقوقهم وصلاحياتهم ، بالاشتراك مع حكومة ذلك الوقت (يقصد حكومة الاتحـــاد والترقى) حالوا دون أن تأتى هذه المساعى ثمارها عن طريق شبكة الإهانات التى نصبتها حولى الحكومـــة المتحكمة، ودخلوا فى مذاكرات الصلح بصورة منفردة، ولم يتركوا فرصة لحمايـــة الـــدم المظلـــوم لأمـــة محترمة من أن يهدر بلا سبب ،إن الأسلوب الذى اتخذته بعد توقه هدنة موندروس هو الحذر من اتخاذ أى خطوة لا يمكن التراجع فيها، والاهتمام بالإصلاحات والإجراءات المعقولة والمعتدلة فى الداخل. هـــذا مـــن ناحية، والاستمرار فى المحاولات السياسية وكسب الوقت الذى يساعد على تهدئة الغيـــظ العـــام الموجـــه ناحيتنا من ناحية أخرة، والأسلوب الذى اتبعته بعد احتـــلال إزمـــير لا يخـــرج عـــن هـــذا" ." .انظـــر، Kadir Mısıroğlu,a.g.e.,s.١٨٧,١٩٣.

[٧٨] كان السلطان وحيد الدين لايحب فريد باشا، وكان يرى أنه " مختلف معه تماما" ، لكنـــه كـــان مجبرا على تعيينه فى موقع الصدارة،ولم يكن يثق فيه ، لهذا أرسل توفيق باشا فى أعقابه إلـــى مؤتمـــر سيفر لكى يكون تحت مراقبته. انظر،

Murat Bardakçı, şahbaba,s.٥١٥.

[٧٩] نُطق، ص٣.

[٨٠] جمعية محبى الانجليز، تكونت فى استانبول فى اغسطس سنة ١٩١٩م.كان حدفها المحافظـــة على الرابطة التى تربط السلطان والخليفة العثمانى بالإمبراطورية الإنجليزية التى تقع تحت قبضتها الغالبية العظمى من المسلمين فى العالم.، والاستفادة من هذه العلاقة فى عمل الدعاية المحرضة للمســـلمين فـــى المستعمرات الانجليزية، والتعاون مع الوزراء فى حكومة استانبول من أجل تحريض شعب الأناضول على المقاومة ، انظر،

Enver Kartekin, Devrim Tarihi ve Türkiye Cumhuriyeti Rejimi,Sinan Yayınları, Istanbul ١٩٧٣,s.٨٤-٨٥.

شكلوا هذه الجمعية ، هم هؤلاء المحبون لذاتهم ، ولمنافعهم الشخصية ، ممن يبحثون عن وسيلة لضمان حماية الإنجليز عن طريق حكومة لويد جورج ، وحماية منافعهم وأشخاصهم. والأمر الجدير بالتأمل هنا -هو؛ ترى هل -فكر هؤلاء المساكين ولو لمرة واحدة ، أم لم يفكروا البتة ، إن كانت دولة انجلترا تأمل في الحفاظ على دولة عثمانية منتهية و من ثم حمايتها، أم لا !.

كان على رأس المنتسبين إلى هذه الجمعية، وحيد الدين الذى يحمل لقب السلطان العثمانى وخليفة المسلمين فى الأرض، هو والداماد فريد باشا، وعلى كامل الذى كان يشغل وزارة الداخلية آنذاك ، وعلى كمال، وعادل ومحمد على بك، وسعيد مُلا. وكان فى هذه الجمعية أيضا بعض المغامرين الذين ينتسبون إلى المِلّة الإنجليزية مثل الراهب "فرو". ومن خلال المعاملات والاجراءات، وضح أن الراهب "فرو" كان رئيسا لهذه الجمعية.

كان لهذه الجمعية جبهتان وحقيقة. أحد الجبهتين جبهتها العلنية، وكانت حقيقتهاتميل إلى طلب وتأمين حماية الإنجليزعن طريق محاولات مدنية. والجبهة الأخرى، كانت الوجة الخفى لهذه الجمعية .وكان النشاط الأصلى فى هذه الجبهة الثانية هو بذل عدة مساعى اتسمت بالخيانة مثل ؛ تكوين منظمات داخل البلاد، وإثارة العصيان والاختلال ، وإصابة الشعور الشعبى بالشلل، وتسهيل التدخل الأجنبى، وكان هذا يُدار من قِبَل الجناح الخفى للجمعية.

كان فى استانبول فريق من الرجال والنساء مقتنع بأن الخلاص الحقيقى، إنما يكمن فى طلب الحماية الأمريكية[٨١] وضمانها . والمقتنعون بهذا الرأى كانوا مصرين بشدة على أفكارهم. وعملوا كثيرا لإثبات أن وجهة نظرهم التى يروجون لها هى الصواب المطلق[٨٢] .

بعد هذه التوضيحات ، علينا أن نضع الصورة العامة للموقف فى إطار أكثر تحديدا ، ولنتتبعها سويا فى صور سريعة وسهلة :

كانت الدول المخاصمة لنا فى حالة اعتداء مادى ومعنوى على الدولة والمملكة العثمانية، وقد أصدرت القرار بالقضاء على البلاد وتقسيمها . أما الشخص الذى هو السلطان وهو الخليفة، فلم يكن يفكر فى شيئ آخر سوى الوسيلة التى سيتمكن بها من إنقاذ حياته ويضمن بها سلامته[٨٣] . وحكومته أيضا كانت بنفس الحال. كان الشعب الذى أصبح يفتقر إلى الزعامة، وهو لا يعى من أمر نفسه شيئا،

---

[٨١] كان على رأس المنادين بالانتداب الأمريكى رفعت بك، وخالده أديب ، وزوجها عدنان أديب ، وعصمت باشا إينونو، وقد قاموا بإجراء حوار وعلاقات ومباحثات فى هذا الصدد مع ممثل أمريكا فى استانبول. انظر،

Falih Rıfkı Atay, Cankaya,Batış Atatürk Dizisi,Istanbul ١٩٩٨,s.١٩٠

[٨٢] نُطُق، ص٦.

[٨٣] بعد احتلال الحلفاء العاصمة استانبول ،لم يكن السلطان وحيد الدين، بمقدوره التحرك العلنى ضد قوات الاحتلال ، لكنه كان يثق أنه يمكن الاستمرار فى المقاومة فى الأناضول انظر،

Murat Bardakçı, a.g.e,s.٥١٥ .

نقلا عن لسان صبيحة سلطان بنت السلطان وحيد الدين.

واقع فى الظلمة والغموض ينتظر أن تأتى له الأيام بتجليات تنقذه.[٨٤] كذلك اتخذ هؤلاء الذين بدأوا فى إدراك هول النكبة وثقلها، تدابيرَ تصوروا وفق الجو الذى أحاط بهم، والتأثيرات التى استطاعوا أن يستشعروها، أنها سبيل الخلاص. كان الجيش، اسماً بلا جسم. القادة والضباط، أرهقتهم الآلام، وأنهكتهم المشقات الكثيرة التى أتت بها الحرب العمومية. قلوبهم تدمى برؤية الوطن وهو يتمزق، رؤوسهم مشغولة بالبحث عن وسيلة للخلاص، وهم على حافة هاوية المصيبة الظلماء التى تزداد عمقا أمام أعينهم.

هنا يجب أن أسجل وأوضح أيضا نقطة هى شديدة الأهمية. كان الشعب والجيش لا يعلمون شيئا عن خيانة السلطان و الخليفة[٨٥]، وكما أنهم لايعلمون كانوا

---

[٨٤] يقول السلطان وحيد الدين فى مذكراته" فى أيام الهدنة، جعلت من نفسى عدون غيرى، درعا فى مواجهة المصائب المتعاقبة التى أورثتنى إياها المجرمين المسئولين عن نتائج الحرب العمومية. فى الواقع كان مصطفى كمال باورا لى، وأنا الذى أرسلته إلى الأناضول بوسائط ممكنة وسرية، لكى يقوم بمحاسبة ومواجهة دول الائتلاف المنتصرة فى مقر الخلافة التى صارت فى قلب الخطر. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، لكى يتصدى لليونانيين المحتلين. وقد أخترت واتبعت اسلوب التضحية من أجل منافع وطنى العزيز وبهذا السبب وبهذه الحكمة فقط وضعت حكومة متجاوبة مع الآمال الملية، وكنت لسنوات أقوم بتقوية وتنمية هذه القوى الملية، على الرغم من فكرى وقناعتى التى تكونت فيما يتعلق بتبديل شكل وماهية القوى الملية، انظر، Murat Bardakçı, şahbaba,s.٤١٧.

[٨٥] كانت تحركات وحيد الدين بعد هدنة موندروس تتجه فى اتجاهين، أحدهما، إتخاذ إجراءات وعمل إصلاحات فى الداخل من شأنها تحسين الوضع المعيشى للمواطنين، والآخر، بذل الجهود السياسية وكسب الوقت لتهدئة الغيظ العام انظر، KadirMısıroğlu,a.g.e.,s. ١٩٤. كماكان وحيد الدين مقتنعا بأن كل تفكير إبداء أى مقاومة علنية بأى شكل من الأشكال يعنى دمارا عاجلا لدولة، وكان يشك فى إخلاص الجيش له لأن أغلب قواده كانوا من الاتحاد والترقى انظر، هـ.س. ارمسترونج، أتاتورك (الذئب الأغبر)، ترجمة حلمى مراد، دار المعارف، ١٩٧٦، ص ١٠٩-١١١، لهذافكر السلطان وحيد الدين فى البداية أن ينتقل إلىصامسون ليكون بنفسه على رأس حركة مقاومة الاحتلال هناك، لكن رجاله المقربين حذروه من مغادرة استانبول، فقدكتب السلطان وحيد الدين بعد خروجه من استانبول، رسالة إلى عونى=

مطيعين وصادقين ، نتيجة الروابط الدينية والتقليدية التى جذّرتها العصور فى وجدانهم تجاه ذلك المقام ومن يحتل ذلك المقام. وبينما أفراد الشعب والجيش أثناء تفكيرهم فى سبيلٍ للخلاص، كانوا يفكرون بدافع هذا الاعتياد الموروث فى إنقاذ مقام السلطنة والخلافة العلية قبل تخليص أنفسهم، ولم يكن لديهم استعداد لفهم وتقبُّل معنى الخلاص بدون خليفة وسلطان. وياويل من كان يبدى رأيا مخالفا لهذه العقيدة، أو يُظهر الرأى و الاجتهاد. يكون فى الحال بلا دين ، بلا وطن، خائن،

= باشا قال فيها :" كان من الضرورى أن اتمسك برأيى وأكون على رأس الجيش وأتوجه إلى الأناضول، لكن الصدر الأعظم عارضنى معارضة شديدة عندما صارحته بتفكيرى هذا ، وساق إلى عزت باشا ورضا باشا وهما متلونان بلا حدود ، وقد جاهدتهما طويلا لكننى انهزمت فى النهاية لأنهما قالا لى ، سنحارب مع مصطفى كمال ونبايعك بعد النصر، فإذا انهزم مصطفى كمال باشا لا قدر الله، فسيكون هو المسئول . أما إذا ذهبتم إلى الأناضول ، وحدث لا قدر الله أن انهزمتم، فمن الذى سينقذ الموقف. فمنذ هزيمة أنور وطلعت وأنتم تجاهدون من أجل تسوية الموقف مع الدول المنتصرة" انظر،
Murat Bardakçı, a.g.e.,s. ٢١٦,٢١١٧.

كان وحيد الدين فى ذلك الوقت يثق فى أتاتورك، وكانت تجمع بين وحيد والدين واتاتورك حتى ذلك الوقت عدة نقاط مشتركة ساعدت على تقاربهما : كراهيتهما لجماعة وحكومة الإتحاد والترقى كلاهما كان رافضا لاشتراك الدولة العثمانية فى الحرب العالمية الأولى كلاهما كان يرى فى هدنة موندروس ضرارا بالغا بالدولة وكلاهما يفكر فى وسيلة لتخليص الدولة من الاحتلال لهذه الأسباب اختار وحيد الدين أتاتورك ليكون المندوب الذى طلب الإنجليز إرساله لإخماد حركة المقاومة فى الأناضول. وقد أختاره لأنه أكثر الضباط الذين يعرفهم وطنية، ولأنه قدير فى قيادته العسكرية فقد استطاع أن يرد الإنجليز مدحورين عن غاليبولى سنة ١٩١٥م، ونال بذلك حب الأتراك وتقدير السلطان باعتباره منقذ العاصمة استانبول من الإنجليز. ورأى أن إرساله إلى حركة المقاومة فى الأناضول ، سوف يحظى باحترام وتقدير كبيرين من أتراك الأناضول، باعتباره مبعوث السلطان لذلك أرسله إلى هناك نيابة عنه إلى صامسون ، وقال وحيد الدين فى ذلك الوقت ، " لو كنت أنا الشخص الوحيد الباقى من هذه الأمة، لأعلنت العصيان أنا ومصطفى كمال من أجل إنقاذ الدولة" انظر،
Murat Bardakçı a.g.e.,s.٢١٦, ، وانظر أيضا، ارمسترونج، ص١١٦، وأيضا،
Necip Fazil Kısakürek, şultan Vahidüddin,٢.Baskı,B.D.Yayınlar, Istanbul ١٩٧٥,s.٩٥٠ .ve,Celâl Bayar ,Ben De Yazdım , s. ٩٩,١٢٠

ومردود. لم يكن العوام فقط الذين كانوا يفكرون بهذه العقلية، إنما أيضا من يُطلق عليهم اسم الخواص، على نحو خاص، كانوا يفكرون بنفس هذه الطريقة.

فى ضوء هذا، هناك مسألتان لن يمكن مناقشتهما أثنا البحث عن سبيل للخلاص، أولهما: عدم اتخاذ موقف العداء من دول الائتلاف، والآخر: وهو الشرط الأساس، استمرار الارتباط بالسلطان والخليفة والوفاء له بشكل مطلق.

الآن أيها السادة - إذا تفضلتم - سأسألكم سؤالا :

أمام هذا الوضع وهذه الظروف، ماهو شكل قرار الخلاص الذى يمكن أن يَرِد على الأذهان؟!

وبناء على للمعلومات والمشاهدات التى وضّحتُها، أصبح مطروحا ثلاثة أنواع من القرارات :

الأول : طلب حماية انجلترا .

الثانى : طلب انتداب أمريكا .

أصحاب هذين النوعين من القرارات، هم الذين فكروا فى المحافظة على الدولة العثمانية وهى رماد ، الذين رأوا أن بقاء الدولة العثمانية تحت حماية دولية، أفضل من تقسيم الممالك العثمانية على الدول المختلفة حتى وإن كانت الدولة العثمانية رمادا[٨٦] .

---

[٨٦] نُطق ، ص٨.

القرار الثالث : اتجه إلى سبُل الخلاص المحلية. فمثلا، كانت بعض المناطق ضد تلك النظرية التى تقول بانفصالها عن الدولة العثمانية وهذه المناطق اتخذت إجراءات بعدم الانفصال . كما أن بعض المناطق عملت على أن تنجو بنفسها ، وقد تقبلت الأمر الواقع بأن الدولة العثمانية ستنتهى، و أن الممالك العثمانية ستُقسَّم.

وفى الإيضاحات التى قدمتها أوردتُ الأسباب الموجبة لكل نوع من هذه القرارات الثلاثة.

أيها السادة، إننى لم أر الصواب فى أى واحدٍ من هذه القرارات. لأن الأدلة والمنطق الذى استندَتْ عليه هذه القرارات، كانت كلها بالية، ولا أساس لها . والحقيقة أن أسس الدولة العثمانية قد انهارت ، لقد اكتمل عمرها فى هذا التاريخ الذى نعيشه. وتفسخت الممالك العثمانية تماما، ولم يعد أمامنا غير موطن أجداد يحتمى فيه حفنة من الأتراك. المسألة الأخيرة كانت عبارة عن بذل المساعى لتأمين تقسيم هذا الوطن أيضا . الدولة العثمانية، واستقلالها، والسلطان، والخليفة، والحكومة، كل هذا أصبح عبارة عن مجموعة ألفاظ بلا معنى ولم يعد لها مدلول[87] .

فأى معونة كانت تُطلب، وممن، و لصوْن ماذا ومن؟

[87] يقول رضا نور فى هذا الصدد:" ما معنى أن مدلولات لفظى السلطان والخليفة أصبحت جوفاء. إن هذا لعبث. كان مدلول هذين اللفظين بالذات موجودا بكل قوته. بل إنه مازال موجودا حتى الآن (أى حتى زمن كتابة هذا الكتاب عام ١٩٣٢م). انظر ، رضا نور، حياتى ومذكراتى .

في تلك الحالة ماذا يمكن أن يكون القرار الجاد الحقيقي ؟.

أيها السادة، أمام كل هذا لم يعد إلا قرار واحد وفريد . وهذا القرار هو تأسيس دولة تركية جديدة مستقلة استقلالا تاما بلا قيد أو شرط تستند إلى الحاكمية الملية ! .

وها هو في ذا القرار الذي كنا قد فكرنا فيه قبل الخروج من استانبول، والذي بدأنا تطبيقه في صامسون بمجرد أن وطأت أقدامنا أرض الأناضول[88] .

استند هذا القرار على أقوى محاكمة ، وأقوى منطق وكان الآتي :

أساس الأمر أن يحيا الشعب التركي ، حياة مجيدة و مشرّفة. وهذا الأساس لايمكن أن يتحقق إلا بالاستقلال التام. فأمة محرومة من الاستقلال، مهما كانت غنية ومرفهة، لا يمكن أن تستحق معاملة تزيد على مكانة الخادم في مواجهة البشرية المتمدنة .

---

[88] يقول رضا نور:لم يفكر مصطفى كمال أن يتجه إلى الأناضول لكي يشارك الوطنيين في حركتهم الشعبية ضد المحتلين. ... هناك رواية متداولة حول أسباب ذهاب مصطفى كمال إلى الأناضول. . تقول هذه الرواية، إن السلطان وحيد الدين أحس بالحاجة إلى الحصول على قوة تواجه قوات الاحتلال الأجنبي هو الذي شعر بهذه الحاجة. تتشكل هذه القوة من الجنود والجيوش في الأناضول ومن الشعب وتقوم في الظاهر بمعارضة كل قوات الاحتلال والسلطان، وتطلب منهم الاستقلال. ولكي يتحقق هذا المشروع وهذه الفكرة، وجدوا أن مصطفى كمال هو الشخص المناسب لتنفيذها. قام السلطان بإعطاء مصطفى كمال مبلغا من المال ، كذلك أعطوه هو بضعة الآف من الليرات من ميزانية الحكومة. نشرت جريدة " ريبابلك انشانس" في باريس الصورة الفوتوغرافية للإيصال الذي تسلم به مصطفى كمال المبلغ. استدعى كل من السلطان وفريد باشا ، مصطفى كمال، وأفهماه الأمر، ثم كلفاه به، وأعطياه في يده الفرمان الخاص بذلك. وفي نفس الوقت جعلاه يقسم بشرفه بانه سيؤدي هذا العمل، وإنه سيطيع الأوامر الصادرة إليه، وإنه إذا صدرت إليه الأوامر ذات يوم بإنهاء هذا العمل ينهيه، انظر، رضا نور، حياتي ومذكراتي.

إن قبول حماية ورعاية دولة أجنبية لا يعني سوى الحرمان من الوصف الإنساني، والاعتراف بالعجز والمسكنة. والحقُّ، أنه لا يمكن أن يُستبعد أصلا أي احتمال بأن يأتي الذين انحدروا إلى هذا الدرك، بسيد أجنبي يضعونه فوق رؤوسهم طواعية.

والواقع أن مجد وعزة نفس وحيثية الأتراك، عالية وكبيرة. وأفضل لأمة كهذه أن تهلك، على أن تعيش أسيرة.

بناء عليه، إما الاستقلال، أو الموت [٨٩].

هذه ستكون كلمة السر لمن يريدون الخلاص الحقيقي.

ولنفترض للحظة، أن التوفيق لن يحالفنا في تطبيق هذا القرار، فماذا سيحدث لنا؟ لا شيء غير الأسر!.

حسنٌ، في حالة الأخذ بالقرارات الأخرى، ألن تكون النتيجة هي نفسها [٩٠]، مع فارق هو أن الشعب الذي يضع الموت نصب عينيه من أجل الاستقلال، يعزيه أن يبذل كل تضحية تقتضيها حيثية الإنسانية وشرفها. وبالطبع فإن مكانته في نظر كل من الصديق والعدو، تختلف عند النظر إلى شعب مسكين فاقد الاعتبار وضع بيده سلسلة أسره حول رقبته. بعد ذلك يصبح العمل على استمرار الأسرة

[٨٩] كان وزير خارجية انجلترا اللورد كُرزون يقول" لا يمكن تركى بعد هذا الاحتلال المنحوس، إلا أن يتعاطف بعمق مع القضية الوطنية التى يمثلها مصطفى كمال" انظر،
Falih Rıfkı Atay, Cankaya,,s.١٩٧.

[٩٠] نُطق، ص ٩.

والسلطنة العثمانية، يعنى بالضرورة إلحاق أكبر ضرر بالشعب التركى. لأن الشعب إذا أمّن استقلاله وبذل كل انواع التضحيات فى سبيل تحقيقه لن يمكنه أن ينظر إلى هذا الاستقلال بعين الثقة، فى حالة ما إذا استمرت السلطنة. والآن، كيف يجوز بقاء مجموعة من الجانين ، لا تربطهم بالوطن والشعب أى رابطة وجدانية أو رابطة فكرية ، فى موقع المحافظ على استقلال وحيثية الدولة والشعب؟ .

فإذا ما جاء دور الحديث عن وضع الخلافة، فنقول هل بقى فى عالم التمدن الحقيقى – وهو عالم استغرق فى كل أنوار العلم والفن – موضوع يقابل بالاستهزاء[٩١] غير هذا الموضوع.

ويبدو أنه ، كان من الضرورى التعرض للقضايا التى لم يألفها الشعب بعد ، حتى نضمن تطبيق القرار الذى اتخذناه . وكانت الضرورة المطلقة تقتضى أن تُطرح

---

[٩١] كان بعض المثقفين الأتراك المعاصرين لأتاتورك رغم اتفاقهم معه فى الفكر والثقافة، يعارضون موقفه من الخلافة الإسلامية، من هؤلاء رضا نور وهو مثقف تركي كان قريبا من أتاتورك وكان يجاهر بإلحاده:" "إن الخلافة لا تهدم ، ولكنها تصلح، كان يمكن تقويتها، كم كان موسلينى مستبدا، ورغم هذا كان يعمل لتقوية البابا، إن هذا لقوة. وقد أصبح العالم الإسلامى مسكين ، بلا قائد ، بلا أمل." انظر، رضا نور، حياتى ومذكراتى،وكان بعض المثقفين أيضا يقولون إن الخلافة الإسلامية هامة بالنسبة للجمهورية التركية للمحافظة على مكانة متميزة للها فى مواجهة السياسة الأوروبية ، ولا تنحدر مكانتها من دولة عظمى إلى مجرد حكومة لدولة صغيرة. بل إنها لا تتعارض مع الشعور القومى، إنما هى جزء من القومية التركية. ورأى البعض الآخر أن الخلافة لا تُهدم ، لكنها تُصلح ، ويمكن تقويتها ، فبإلغاء الخلافة يفقد المسلمون قائدهم. من هؤلاء المثقفين حسين جاهد يالجين ، وهو صحافى تركى ذو توجه غربى دافع عن أتاتورك وعن إجراءاته، لكنه كان يرى أنه " إذا ضاعت الخلافة الإسلامية من الأتراك، فلن يكون للدولة التركية التى تتكون من خمسة عشر مليونا ، أهمية تُذكر فى العالم الإسلامى، وستنحدر مكانتها أمام السياسة الأوروبية إلى مجرد حكومة صغيرة عديمة القيمة... إن كل تركى يحمل فى قلبه شعورا بالقومية الحقيقة ، يجد نفسه مدفوعا إلى التعلق بالخلافة بكل ما أوتى من قوة " انظر، çağlar kırçak, Meşrutiyetten Günümüze gericilik (١٨٧٦-١٩٥٠) s.٢٣٦

للمناقشة تلك المسائل التى يُتصوَّر أن هناك محاذير عظيمة لدى العموم تحول دون طرحها للمناقشة .

كان لابد من تحريض كل الشعب و (كذلك) الجيش على عضيان الحكومة العثمانية، (وعصيان)السلطان العثمانى، وخليفة المسلمين.

كان يجب على كل الشعب أن يتصدى بالسلاح للذين يعتّدون على موطن أجداد الترك وعلى استقلال الترك أياً ما كانوا، بل و الصراع معهم[٩٢] . ولا شك أنه كان من غير المناسب إظهار هذا القرار المهم منذ اليوم الأول أو التعبير عن حتميّته وضرورتة. كان من الضرورى تقسيم تطبيقات هذا القرار إلى مجموعة صفحات، وتهيئة مشاعر الشعب وأفكاره بالاستفادة من الوقائع ومجريات الأمور، والسير نحو الهدف خطوة خطوة. ولا سيما أن هذا ما حدث. وإذا تم تتبع الإجراءات التى قمنا بها ، والخطوات التى اتخذناها خلال السنوات التسع، ووضعها فى سلسلة منطقية، سيظهر بشكل تلقائى أن الخط العام الذى تعقبناه لم ينحرف أبدا منذ اليوم الأول وإلى اليوم عن الخط الذى رسمه القرار الأول والهدف الذى يتجه إليه.

هنا ، ومن أجل تسهيل حل بعض عقد التردد المحتمل وجودها فى الأذهان، يجب علينا أن نتعرف معا على حقيقة ينبغى التحدث عنها . كان الكفاح الشعبى

---

[٩٢] تشكل فكرة الصراع أساسا فكريا عند أتاتورك، فيقول: (إن الحياة تعلى الصراع والمصادمة) (والنجاح فى الحياة مقترن بالنجاح فى الصراع). وهذا أيضا يستند على القوة والقدرة ماديـــا ومعنويـــا. ومسألة أخرى هى، أن كل المسائل التى تشغل البشر، سرعان ما تتولد من موجات صراع عام واجتمـــاعى وهى صفحة اساسية فى تاريخ اعتداء وهجوم الشعوب الشرقية على الشعوب الغربية) نطق ، ص ٢٧٥.

الذى اتضح وظهر عبارة عن سير طبيعى للتاريخ وهو تطور لا يمكن تجنبه وقد اعتبر هذا الكفاح أن خلاص الوطن فى مواجهة الاعداء الخارجى هو الهدف الوحيد، وأنه كلما اقترن هذا الكفاح الشعبى بالتوفيق ، كلما أدى إلى تحقيق كل أسس واشكال حكم الإرادة الشعبية صفحة تلو صفحة إلى اليوم . وحاكم الأسرة الذى شعر على الفور بالاعتياد التقليدى للتطور التاريخى المُقَدَّر، صار على الفور واعتبارا من اللحظة الأولى، خصما للكفاح الشعبى لا يؤمن جانبه . وقد شاهدتُ وشعرتُ فى اللحظة الأولى بهذا التطور التاريخى المُقَدَّر لكن لم نستطع فى اللحظة الأولى أن نُظهر ونعبّر تماما عن احساسنا هذا الذى كان شاملا إلى النهاية. وبناء على الإحتمالات المستقبلة، يمكن أن نقدم لكم مزيد من المعلومات عن الكفاح الحقيقى والمادى الذى خضناه، وماهيته التى تفوق التصور. هناك خطر خارجى قادم يحمل فى طياته الكثير من التغيرات المتوقعة، وأمام هذا الخطر الخارجى خائفون يمكن أن تتحرك فيهم منذ اللحظة الأولى، روح المقاومة لما قد يأتى به هذا الخطر الخارجى من تغيرات مغايرة لأعرافهم ولاستعدادهم الفكرى ولحالتهم الروحية. وكان الطريق العملى والمضمون للنجاح هو تطبيق كل مرحلة عندما يحين وقتها . وكان هذا هو طريق السلامة لرقى ورفعة الشعب. وهكذا تحركتُ أنا أيضا فى هذا الإطار[٩٣].

---

٩٣ نُطُق ، ص ١٠.

وردت العبارات التالية فى مضبطة المجلس، ضمن السطور المتعلقة بتعريف مجلس الشعب الكبير : إن الموافقة على استمرار مجلسنا إلى الأبد بشكله الحالى، وهو المجلس الذى دفعتنا إلى تشكيله وطأة الضرورة الناجمة عن أسْرِ الخليفة والسلطان، و تلاحُق الأحداث الجارية لذا، فقد حدث تقييد للفقرة الأولى من المادة الثانية من القانون الخاصة بقيام مجلس الشعب الكبير بإضافة عبارة " لحين حصول الغاية" والسبب فى ذلك التقييد هو (أولا) إضفاء الشكل الطبيعى على الأوضاع الحادة والاستثنائية، لأن القاعدة هى أن الأشكال غير الطبيعية لا يمكن أن تكون ثابتة. (ثانيا) ولكى يستمر المجلس إلى أن يتحقق ويتأيد حق الخلافة والسلطنة بعد أن أصابه الخلل، وكذلك إلى أن يتحقق أيضا استقلال الشعب والوطن ، (ثالثا)ولكى يكتسب المجلس الشكل الطبيعى عندما تحقق هذه الأمنيات المقدسة التى هى فقط هدف المجلس الأساسى. و الحقيقة إن مدة إنعقاد المجلس لم تقيد ولم يُصرح بزمن انعقادها .

وتبعا لهذا السبب وهذا الرأى ،يتضح أنه سَرَى فى المجلس انطباع بأن مجلس الشعب التركى الكبير فى أغسطس ١٩٢٠ لم يكن له آنذاك وضع دائم وماهية طبيعية.

المادة الأولى من المواد القانونية (الخاصة بقيام المجلس) كانت تنص على أن: "مجلس الشعب الكبير حائز على السلطتين التشريعية والتنفيذية . ويستقل وحده

دون غيره بإدارة الدولة. كان من الطبيعي والحتمي أن تكون الصلاحية الممنوحة للمجلس بموجب هذه المادة والأسباب التي أدت إليها ، صلاحية مؤقتة. فضلا عن أن المؤسسة التي تقوم بماهية مؤقتة، تكون صلاحيتها مرهونة بفترة قيامها .

وظهر في المجلس أيضا نفس رد فعل ورأى "هيئة الحقوق الأساسية". حتى أن كثيرين من أعضاء المجلس، وجدوا أن تعبيرات المجلس في توضيح المقصد من قيام مجلس الشعب الكبير هي تعبيرات ناقصة ، واقترحوا التعبير عنها بوضوح[٩٤] . وقالوا، إنه يلزم أن تُضاف في أول المادة الأولى وصراحة عبارة "حتى تتحرر الخلافة والسلطنة ويتحقق استقلال الوطن والشعب" . وطلبوا أيضا أن تصاغ بنفس الصراحة عبارة بديلة عن عبارة "لحين حصول الغاية" التي في المادة الثانية . واستوجبت هذه المسألة مناقشات كثيرة. وقال بعض النواب:" لنضع كلمة الخليفة فقط، فالسلطنة مندمجة في الخلافة " . ولم يرض بعض السادة الشيوخ (من أعضاء المجلس) عن هذا الرأي. وهناك من رأوا أن الخلافة أمر معنوي. واعترض هؤلاء السادة الشيوخ بأنه " ليست الخلافة أمرا معنويا رهبانيا فقط"، وقالوا في هذا الصدد " إن السلطنة تشمل البلاد التي تحكمها ، أما الخلافة فتشمل الإسلام على وجه الأرض" .

استمرت هذه المناقشات لأيام وأيام. كانت أحد أفكار المعارضين صريحة وهي أن: " هناك خليفة وسلطان وسيظل الأمر كذلك . وإلى أن يتحقق وجوده ،

---

[٩٤] نُطق ، ص ٣٥١ .

فإن الوضع القائم اليوم يكون وضعا مؤقتا في شكله وصلاحياته. وعندما تتاح الفرصة لمقام الخلافة والسلطنة لإجراء الفعاليات المنوطة به ، ستصبح طبيعة المؤسسات السياسية والأساسية محددة ومعلومة. ومن وجهة النظر هذه ، فإن تصور شيء آخر جديد ، ليس موضوع بحث. و إلى أن يصبح إجراء فعاليات مقام الخلافة والسلطنة أمرا مضمونا ، سيعمل المجتمعون في أنقرة بالتدابير المؤقتة"[٩٥] .

لم يكن هناك وضوح في الفكر المعارض لهذا(الرأي) .فقد كان من غير الممكن التكلم بشكل واضح وصريح كأن نقول " إن السلطنة قد انتقلت إلى الشعب؛ ولم تعد هناك سلطنة، وكذلك الخلافة ؛ تعني السلطنة؛ وبناء على هذا فلا حكمة من وجودها أيضا[٩٦]. وبعد سبعة وثلاثين يوما، اعتبرتُ أنه من المفيد طرح بعض التوضيحات على المجلس في جلسة سرّية في ٢٣ سبتمبر. وبعد أن هدّأتُ من روع الرأي العام والشعور السائد، عرضت في هذه الجلسة الآراء الأولية التالية:

"عندما كان الشعب التركي ومجلسكم العالي وهو ممثله الوحيد، يعملان من أجل تأمين استقلال وحياة الوطن والشعب، كان محظورا عليه الانشغال بشكل

---

[٩٥] كان العلماء من أعضاء المجلس يرون ضرورة استئذان السلطان قبل افتتاح المجلس لكي يكتسب المجلس صفة الشرعية، و أنه مادام السلطان لم يعين نائبا للسلطنة كما أنه بصفته خليفة لم يعين وكيلا له في أمر الخلافة، في هذه الحالة تقوم وزارة الشرعية بمقام نائب السلطان ووكيل الخليفة في هذه الحكومة المؤقتة وأن يكون المجلس بمثابة هيئة مشورة للخليفة . انظر، Niyazi Berkes, Türkiyede çağdaslaşma, Doğu - Batı yayınları, Istanbul ١٩٧٨, s.٤٩٠,٤٩٢,٥٠٠.

[٩٦] دائما يطرح أتاتورك أفكاره في صورة قضية منطقية لها مقدمات وضعها هو لينتهي إلى نتيجة تبدو طبيعية ومنسجمة مع هذا المنطق.

أو بآخر بالخلافة والسلطنة، وبالخليفة والسلطان. وهذه مسألة كان ينبغي بمقتضى المصالح العُليا، ألا يدور النقاش حولها مطلقا في الوقت الراهن. وإذا كان الغرض هو التعبير عن الارتباط بالخليفة والسلطان الحالي وتأكيد الإخلاص في المحافظة عليه، فلابد أن نعرف أن هذا الرجل خائن[٩٧]. إنه أداة الأعداء ضد الوطن والشعب وعندما يقول الشعب عن هذا الرجل إنه خليفة وسلطان، لابد بالضرورة أن يكون مطيعا لأوامره ومجبرا بالضرورة أيضا على تنفيذ ما يسعى إليه العدو من آمال. إن الرجل الخائن أو الممنوع من استخدام قدرة وصلاحيات مقامه، لا يمكن أن يكون في حد ذاته سلطانا وخليفة. في هذه الحالة نخلعه، وننتخب آخر مكانه على الفور. وإذا كنتم تريدون القول بهذا، فإننا نرى أن الوضع وظروف الوقت الراهن لا يساعدان على هذا أيضا. لأن الشخص اللازم خلعه لا يعيش معنا هنا، بل هو هناك في كنف الأعداء. وإذا كان المتصور اعتباره غير موجود ولابد من مبايعة آخر مكانه، في هذه الحال، فإن الخليفة والسلطان الذي لم يتخل بعد عن حقوقه سيتمكن مع حكومته التي في استانبول من مواصلة المحافظة على مقامه كخليفة، ومداومة

[٩٧] وصفت المخابرات الانجليزية في تقرير لها عام ١٩٢٠، السلطان وحيد الدين أنه " ذكي، حساس، ضد الاتحاد والترقي، لكنه لا يعبر بوضوح عن وجهته السياسية. له أفكار مخلصة لخدمة دولته والمحافظة على الأسرة العثمانية. صار فعالا في المسائل الداخلية عقب اعتلائه العرش. صاحب أفكار يعرف كيف وبأي يشكل يستخدمها. يؤمن أنه يمكنه إنقاذ تركيا من خلال عدم التصادم مع الانجليز " وكان وحيد الدين يقول " يمكن أن نكون أي شيئ، جاهلين، عديمي التجربة، ويمكن أن نكون قد أخطأنا في السياسة التي اتبعناها، أو تسببنا الضرر، كل هذا ممكن، لكن المستحيل، أن نكون نحن العثمانيون خائنين للوطن. إن مصطفى كمال خير من يعرفنا، فكيف يقول عني إنني خائن" انظر،
Murat Bardakçı, şahbaba,s. ٢١٥,s.٥١٦.

فعاليته كسلطان كما هو الحال الآن . فى هذه الحالة نُرى ، هل سينسى الشعب والمجلس الشعبى العالى مقصدهما الأصيل ، ويشغلان بقضية الخلفاء ؟. هل سنعيش زمن على ومعاوية؟ خلاصة القول، إن هذه المسألة مسألة واسعة ودقيقة ومُهمة. وحلها ليس من الأمور التى ننشغل بها اليوم. وإننا إذا خضنا فى حل المسألة من أساسها، فلن نخرج منها اليوم. كما أن زمنها سيأتى فيما بعد. إن الأسس القانونية التى سنضعها اليوم، يجب أن تكون ضامنة ،وناطقة بالصلاحيات والمعانى التى تؤدى إلى تقوية الحكومة الوطنية ومجلس الشعب، الذى سينقذ كياننا واستقلالنا[٩٨] .

أيها السادة ، كنت قد قدمتُ أيضا قبل أسبوع من إلقاء هذه الإيضاحات، مشروعا للمجلس. هذا البرنامج يحمل تاريخ ١٣ سبتمبر ١٩٢١ ، وقد احتوى على تلخيص للبرامج السياسية والاجتماعية والإدارية والعسكرية ، و على القرارات المتعلقة بالمؤسسات الإدارية، وتمت قراءته فى إجتماع المجلس يوم ١٨ سبتمبر ١٩٢١. وقد انبثق من ذلك البرنامج أول قانون للمؤسسات الأساسية ، وصدر هذا القانون بعد مرور أربعة أشهر من ذلك التاريخ[٩٩] .

إن العثمانيين لم يتصرفوا بالحيطة والتدبير الواجِبَين ، وبالشكل الذى يتناسب مع شمول التحركات التى اختاروها، وتحركوا بشكل أكبر تحت تأثير مشاعرهم

---

[٩٨] نُطق ، ص ٣٥٢.

[٩٩] نُطق ، ص ٣٥٣.

وطموحاتهم[100] ، لهذا وصلوا إلى فيينا ، ثم ما لبثوا أن أجبروا على التقهقر عنها .

[100] تعرض أتاتورك للدولة العثمانية بنظرة نقدية، تتسق مع النسق العام لتفكيره الذى يستهدف تكوين دولة تركية جديدة تعتمد على الحاكمية الملية(السلطة الشعبية) ومرتكزه على أسس جديدة. فقدم رؤيته حول أسس بناء الدولة العثمانية وسياستها الداخلية والخارجية، وأسباب انهيارها التى تبلورت بصورة أساسية فى سياسة العثمانيين الخارجية.والجدير بالملاحظة أن أتاتورك فى نقده للتاريخ العثمانى لم يصف العثمانيين بالظلم أو بالبطش بشعوبهم أو "بالعنصر الأصلى للبلاد "، ولم ينتقد الحياة الاجتماعية أو الأخلاقية، أو الإدارية أو العدلية لدى العثمانيين .وقد اختزل أتاتورك تاريخ الدولة العثمانية على النحو التالى من خلال رؤيته النقدية التى تعتمد على منطقه القوى وتفسيره الخاص لمجريات التاريخ العثمانى. والخطوط الأساسية التى رسمها للتاريخ العثمانى عبارة عن الآتى: (إن الباعث الأساسى لتحركات وفتوحات السلاطين العثمانيين هو الرغبة الشخصية فى تكوين دولة عظمى خاصة بعد امتلكوا عرش وتاج الإمبراطورية البيزنطية . وهذا هو الخط الأساس لسياستهم الخارجية التى انعكست آثارها على سياستهم الداخلية ، ودفع الأتراك وهم العنصر الأصلى للبلاد الثمن لتحقيقها، من حياتهم وأسباب معيشتهمفانتصار العثمانيين على البيزنطيين حرك لدى السلاطين العثمانيين الرغبة فى التوسع والاستيلاء على روما وتكوين دولة عظمى. وفى سبيل تحقيق هذه الأطماع والآمال الشخصية ، دفعوا بالعنصر الأصلى للدولة وهم الأتراك ،إلى بلاد بعيد يموتون فيها لتحقيق أطماع وورغبات السلاطين الشخصية.، فى الوقت الذى حُرموا هم فيه من المقومات الأساسية لمعيشتهم وضاعت هويتهم.كما أن السلاطين العثمانيين تملكهم الغرور والشعور بالتفوق ،فكانوا يأبون عقد المعاهدات التجارية مع الدول الأوروبية ، إنما يمنحونها الامتيازات " هبة وإحسانا من السلطان"، هذا ما فعله السلطان محمد الفاتح أولا ثم السلطان سليمان القانونى بعد ذلك. أما السلطان سليم فإن رغبته فى السيطرة على حكم العالم الإسلامى هى التى دفعته إلى الاستيلاء على مصر، وحمل لقب الخليفة. وكان حمل هذا اللقب هوبداية انحطاط الدولة العثمانية. ثم تطورت الرغبة فى التوسع لدى السلطان القانونى، فىأن يسيطر على العالم الإسلامى وأوروبا فى وقت واحد، فتوالت اعتداءاته على الغرب، لكن هذه الاعتداءات مع عدم امتزاج العناصر المختلفة داخل حدود الدولة العالمية التى يسعى لتحقيقها،و الضجر الذى أصاب العالم الآسلامى ، كل هذا أدى بالضرورة إلى أن طوى التاريخ صفحة هذه الدولة العثمانية، ويقول أيضا " لقد وضع العثمانيون التيجان فوق رؤوسهم وتصوروا أنهم مرسلون من الله، والتف حولهم أرباب المصالح الشخصية، الذين هم عقول السلاطين والمؤثرون فى صياغة أفكارهم ولقنوا الناس أن رغبات السلطان ما هى إلا أحكام سماوية ولوازم قرآنية" وقصد أتاتورك بهذا القول جماعة العلماء، وكان العلماء فى الدولة العثمانية يمثلون واحدة من هيئات ثلاث تعتمد عليها الدولة العثمانية فى إدارتها ، هم هيئة العلماء ، وهيئة أرباب السيف أى الجيش، وهيئة أرباب القلم وهم الجهاز الإدارى. وكانت هيئة العلماء بمثابة الضابط الشرعى للدولة العثمانية وتشمل شيخ الإسلام والمفتيين والقضاة والمدرسين، وتقدم المشورة للسلطان فى شئون الغزو والقوانين من خلال الفتاوى الفقهية والقائمة على مذهب أهل السنة والجماعة. وقد ضعفت هذه الهيئة العلمية منذ القرن السابع عشر وحتى نهاية الدولة العثمانية، أصبح لرجال الدولة القائمين على الإدارة وعلى رأسهم الصدر الأعظم المبادرة فى رسم اتجاهات الدولة فى الداخل والخارج. كما أنه معروف أن =

وبعد ذلك لم يستطيعوا الاستقرار فى بودابست أيضا، وتراجعوا. وانهزموا فى بلجراد وأجبروا على التراجع عنها، وتركوا البلقان وأُخرجوا من الروملى، وتركوا لنا ميراثا هو هذا الوطن الذى يحتله الأعداء الآن. وينبغى علينا ونحن نقوم بإنقاذ هذا الجزء الأخير من الوطن، أن نتأنى وأن نُخلّص أنفسنا من طموحاتنا ومن مشاعرنا. فليس هناك ولا يمكن أن تكون هناك وسيلة أو قرار لإنقاذ واستقلال الوطن، ما لم نحارب – أولا وأخيرا – العدو بكل كياننا، وأن نغلبه.

يجب ألا نولى الكلمات والإيحاءات المهدئة للأعصاب، أية أهمية أو ثقة. ويجب أن نرفض هذه النوعية من العقلية التى خلّفها أسلوب الإدارة والسياسة العثمانيّين.

لا يمكن إنقاذ الوطن باتباع النصيحة التى تأتى من الخارج، تلك النصيحة التى تقول إنه لا مخرج لنا من هذا الوضع لا بالجيش، ولا بالحرب، ولا بالمقاومة. والتاريخ لم يسجل لنا أمرا كهذا من قبل. والذين سيتحركون وهم يفكرون بعكس هذه النصيحة، سيواجهون بلا شك نتائج مثيرة للمرارة. وكانت تركيا فى كل قرن، وكل يوم، وكل ساعة، فى مزيد من التدنى ومزيد من السقوط بسبب أصحاب الأفكار

= العثمانيين كانوا يضعون العمامة فوق رؤوسهم شأنهم شأن كل سلاطين وخلفاء المسلين. انظر، نقلا عن، Enver Ziya Karal, Atatürk'ün söylev ve Demeçleri, c.٢,s.٢٣,٩٠,٩١,٩٣. (٢) ,
وهذا الكتاب هو الخطب والأقوال التى قالها أتاتورك فى مناسبات مختلفة، وانظر أيضا ، نطق ، ص ٢٧٥.

المناوئة والذهنية المخالفة التى تفكر فى هذا الاتجاه. ولو كان هذا السقوط فى الماديات فقط، لهان الخطب[101]. لكن ويا للأسف، اتضح أن السقوط قد شمل كل شئ حتى الأخلاق والمعنويات. ولا شك أن هذا هو العامل الرئيسى الذى ساق هذا البلد الكبير وهذا الشعب العظيم، إلى مقبرة الزوال والاضمحلال.

أيها السادة، تعرفون أن الذين قاموا بأسواء الأدوار وأكثرها سلبية فى هذه الفترة التى عرضتها عليكم فى المجلس،كانوا وقتها هم الأشخاص الذين اقتنعوا بأن الشعب التركى لن يستطيع أن ينال استقلاله بنفسه. وهم الذين أصروا على طلب حماية هذا وذاك". لذلك واصلت عرض آرائى فى هذا الصدد. وقلت : أيها السادة، إن السقوط المادى ، والمعنوى بشكل خاص، يبدأ بالخوف ... بالعجز. إن العاجزين والخائنين يدفعون الشعب أمام أى كارثة ،ليصلوا به إلى حالة معاناة العجز والعزلة[102]. فيستمر الشعب فى العجز والتردد إلى درجة أنه عادة ما يحتقر نفسه بنفسه. فيقولون إننا لسنا رجال ، ولا يمكن أن نكون رجالا. و مستحيل أن نكون رجالا من تلقاء أنفسنا. يجب أن نسلم كياننا إلى أجنبى بلا قيد ولا شرط. وبعد حرب البلقان اتبع القائمون على رأس الشعب ، وعلى رأس الجيش خاصة ، أسلوبا آخرا لكن بنفس الذهنية.

أيها السادة، لابد من إنقاذ تركيا من يد من ساقوها إلى وادى الاضمحلال

[101] نطق ، ص ٣٩٢.
[102] نطق ، ص ٣٩٢.

والانقراض، بهذه الطرق السقيمة. لهذا هناك حقيقة تم اكتشافها، وسنكون تابعين لها. هذه الحقيقة هى؛ تزويد أساس التفكير فى تركيا بإيمان جديد تماما[١٠٣]. وإعطاء كل الشعب معنويات عالية تماما[١٠٤].

فى ٢٨ أكتوبر ١٩٢٢، دعتنا دول الائتلاف، لمذاكرة الصلح الذى سينعقد فى لوزان[١٠٥]. كانت دول الائتلاف تريد الاعتراف بحكومة قائمة فى استانبول، وتدعوها معنا إلى المؤتمر.

هذه الطريقة فى الدعوة المشتركة، أدت بشكل حاسم إلى اتخاذ إجراء إلغاء السلطنة الفردية. وفى الحقيقة، أنه بموجب القانون المؤرخ فى الأول نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٢٢م، تم الفصل بين السلطنة والخلافة، وتم تأييد السلطنة الملية التى كانت تباشر الحكم فعلا منذ فترة تجاوز السنتين ونصف السنة، بينما تُركت الخلافة لمدة

---

[١٠٣] أعطى أتاتورك أهمية خاصة لتحطيم التأثير الأيديولوجى للدين على المجتمع، فوضع القومية مقام الدين ليجعل منها دينا جديدا للأتراك، انظر،
Doğu Perinçek, Din ve Allah,٢. basım,kaynak ya yınları,istanbul ١٩٩٤, s ٥٢,٦٢.

[١٠٤] نُطُق ، ص٣٩٣.

[١٠٥] عقد مؤتمر الصلح فى لوزان بسويسرا وتم توقيع عاهدته النهائية فى يوم الثلاثاء ٢٤ يوليه ١٩٢٣م بهدف تصفية الدولة العثمانية بعد هزيمتها فى الحرب العالمية الأولى فى زمن حكومة الاتحاد والترقى التى كانت تحكم فعليا عند قيام الحرب وحتى هزيمة الدولة العثمانية فيها . وقد مثل تركيا فى هذا المؤتمر وفد يرأسه عصمت باشا ورضا نور، وحسن بد. انظر،
Ali Naci Karacan, Lozan,Milliyet Yayınları,٢ Baskı, ١٩٧١,s.١٥٦.
كان عصمت باشا فى مؤتمر لوزان يتصرف من منطلق أنه فى مصاف الدول المنتصرة على الدولة العثمانية فى الحرب العالمية الأولى وإنه يمثل الحكومة التركية المنتصرة وليس الدولة العثمانية المهزومة. انظر، şevket süreyya aydemir,İkinci Adam,; c.١,s.٢٢٧

أخرى بدون أن يكون لها حقوق صريحة.

أيها السادة، هناك معلومات تتعلق بهذا الأمر، ثابته فى مضبطة المجلس بالدرجة الكافية، وسأعرض عليكم بعض المعلومات الأخرى، مع ملاحظة أن الجهات المعنية بخصوصيات هذه المسألة، ذات علاقة بمجلسكم الموقر.

من المعلوم، أن انفصال مقام الخلافة عن السلطنة أو اندماجهما، مسألة من المسائل التى نالت أهمية كبيرة. وتأييدا لهذه الأهمية، أذكر خاطرة لى: كان المعارضون لنا داخل المجلس[١٠٦] قبل الأول من نوفمبر ١٩٢٢، يقومون بعمل دعاية محرضة ومثيرة للقلق تقول بأننى بصدد إلغاء السلطنة. وذات يوم جاء رؤوف بك[١٠٧] إلى غرفتى فى المجلس، وأبدى رغبة فى إجراء مقابلة معى تتعلق ببعض الأمور الهامة، واقترح علىّ أن أتوجه إلى منزل رفعت بك فى كجى أورت، فى المساء حتى يمكننا أن نتكلم بشكل أفضل. وقبلت اقتراح رؤوف بك، ثم استأذن فى طلب موافقتى على حضور فؤاد باشا أيضا. ورأيت أن وجوده أيضا مناسب. واجتمعنا أربعة أشخاص فى بيت رفعت باشا. وكان مُلخص ما سمعته من رؤوف

---

[١٠٦] كانت المعارضة داخل المجلس الوطنى الأول تتألف من رجال الدين والنواب المتدينين، وكان على رأس هذا الجناح على شكرى نائب طرابيزون. وكان هذا الجناح المحافظ يرى الوصول إلى الاستقلال عن طريق الروابط الدينية، وهم فى ذلك يختلفون عن الجناح الذى يرأسه أتاتورك تحت إسم "جمعية الدفاع عن الحقوق"، وكان أنصار هذا الجناح يرون أن الاستقلال لا يتم إلا مع تغيير بنية تركيا.

[١٠٧] رؤوف بك، كان ضابطا للبحرية وعضوا بارزا فى الآتحاد والترقى، ورئيسا للوفد الذى وقع هدنة موندروس. وهوأحد الضباط المقربيين من أتاتورك منذ بداية الحركة الكمالية لكنه كان ضد أتاتورك فى موقفه من السلطنة العثمانية والخلافة.

بك ، كالتالى :

" إن المجلس متأذٍ بالأراجيف الناتجة عن فكرة إلغاء مقام السلطنة وربما الخلافة. بل وتساوره الريبة فيكم وفى الوضع الذى ستتخذونه مستقبلا. بناء عليه، فإننى مقتنع بضرورة أن تُطَمْئنوا المجلس من هذه الناحية، وعن طريقه يطمئن الرأى العام للشعب".

ثم سألت رؤوف بك، عن رأيه وقناعته الشخصية فيما يتعلق بالسلطنة والخلافة. وقدصرّح فى إجابته بالتالى : إننى موالٍ لمقام السلطنة والخلافة وجدانيا وشعوريا .لأن أبى تربّى بفضل السلطان ونعمتــه ، لأنه كان من رجال الدولة العثمانية. وأنا أيضا تجرى فى دمائى آثار تلك النعمة. وأنا لست جاحدا، ولا يمكن أن أكون . إن حفظ الإخلاص للسلطان، دَيْنٌ فى عنقى. أما ارتباطى بالخليفة، فهو أمرٌ نابعٌ من تربيتى. وفضلا عن هذا، فإن لدىّ تفهُّمى العام. إن السيطرة على الوضع العام هنا، أمر صعب. ولا يمكن أن يحقق هذا قط سوى مقام ألف الناس أن يرونه مقاما رفيعا لا يمكن أن يرقى إليه أحد قط. هذا المقام هو مقام السلطنة والخلافة. وإلغاء هذا المقام، والعمل على إقامة كيان مكانه له ماهية أخرى، أمر يوجب الكارثة والخسران. بل إنه (أمر) لا يمكن أن يجوز أصلا.

بعد ذلك ، سألت رفعت بك عن رأيه فى هذه المسألة وكان جالسنا أمامى. كان جواب رفعت بك كالتالى : "إننى أشترك تماما مع رؤوف بك فى فكره ورأيه.

فى الحقيقة، إن شكل حكم آخر غير السلطنة والخلافة، لا يمكن أن يكون موضوعا للمناقشة"[108].

بعده أردت أن أعرف فكر فؤاد باشا. ولأن الباشا كان راجعا حديثا من موسكو، فقد أفاد بأنه يتعذر عليه طرح فكر، أو قناعة مؤكدة، فى هذه المسألة المطروحة للمناقشة، لأنه لم يجد بعد، الوقت الكافى الذى يسمح له بتدقيق الأفكار والمشاعر العمومية بالدرجة اللازمة.

أما أنا، فكان رَدّى عليهم بإجابة موجزة هى: " إن المسألة التى تبحثونها، ليست مطروحة فى الوقت الراهن. ولا مجال لقلق وانفعال البعض فى المجلس بسببها.

بدا رؤوف بك ممتنا من إجابتى هذه. لكنه استمر فى التحدث حول المسألة موضوع الحديث بشكل أو بآخر. وامتدت مقابلتنا التى بدأت عند المساء، طوال الليل، وحتى الصباح. وشعرت أن رؤوف بك لديه الرغبة فى ضمان شئ، هو دفعى لأن أقول بنفسى فى المجلس ومن فوق المنصة نفس الكلمات والإجابة التى قلتها لهم والتى طمأنتهم بها فيما يتعلق بالخلافة والسلطنة، والوضع الذى سأتخذه شخصيا فيما بعد. وأعلنتُ أننى لا أرى بأسا من أن أقول نفس الكلام فى المجلس. وزيادة على هذا، سجلتُ هذه الكلمات بالقلم الرصاص فى قطعة ورق، ووعدتُ

---

[108] نُطُق، ص ٤١٨.

أننى سأتحين الفرصة المناسبة لألقيها في المجلس فى اليوم التالى على شكل بيان. وقد وفيتُ بوعدى هذا أيضا[١٠٩].

كان بمفهوما أن لا شئ يشغل مجموعة وحيد الدين المكونة من توفيق باشا ومن هم على شاكلته من الباشوات، الذين رأى كل واحد منهم أن منافعه لا تكون إلا فى التهالك على الأقدام البالية المنهارة لعرش ملوث، ولا شئ يشغل هذه الهيئة سوى الترويج لمقاصدها الخفية.

أيها السادة، لا فائدة من الانشغال أكثر بالمجموعة العثمانية الأخيرة المكونة من توفيق باشا وأحمد عزت باشا وأمثالهما. وسأنتقل الآن للحديث عن المناقشات التى دارت فى المجلس[١١٠].

فى يوم ٣٠ أكتوبر ١٩٢٢، بدأت المناقشات فى المجلس حول المسألة المذكورة سابقا. وقد قال عدد كبير من الخطباء كلمات كثيرة، بينوا فيها أنه بعد فترة فريد باشا أزيح الستار عن حقيقة الحكومة العثمانية التى تحكم فى استانبول وعن توفيق باشا، وأن الذين أزاحوا هذا الستار (كشفوا عن) مجموعة من الناس، محرومين من الإدراك، ومحرومين من الضمير. وطالبوا بأن تتخذ الإجراءات القانونية اللازمة تجاه هؤلاء الرجال وقالوا: "إن من يحملون هذه العقلية؛ يعنى، الأشخاص الذين يقترحون علينا كل هذه الاقتراحات الحمقاء، هم فى الحقيقة الرجال الذين وقعوا على الهوية

---

[١٠٩] نُطُق، ص ٤١٩.

[١١٠] نُطُق، ص ٤٢٠.

التاريخية للباب العالى والذين ارتبطوا به أكثر من أى شئ آخر".

وقُرئت تقارير خاصة بمعاقبة هؤلاء الرجال الموصومين باسم وشعار الحكومة فى استانبول، بموجب قانون الخيانة الوطنية.

أيها السادة، لقد أُعِدَّ تقرير يفيد انقراض الدولة العثمانية، وميلاد الدولة التركية الجديدة، وبموجب قوانين المؤسسات الرئيسة الجديدة، يكون الشعب صاحب الحق فى إدارة دفة الحكم. وقد وقع على هذا التقرير ما يزيد على الثمانين من الأصدقاء. وعليه توقيعى أنا أيضا.

بعد قراءة هذه التقرير، بدا أن شخصين هما على رأس الذين اتخذوا موقف المعارضة الجادة لهذا التقرير. أحدهما، هو المير الآى صلاح الدين بك نائب مرسين، والآخر هو ضيا خورشيد بك الذى أُعدم فى إزمير. وهذان، أظهرا بوضوح أنهما مقتنعان بعدم إلغاء السلطنة.

أيها السادة، لم ينعقد اجتماع المجلس فى ٣١ أكتوبر ١٩٢٢. وكان ذلك اليوم هو موعد اجتماع مجموعة "الدفاع عن الحقوق". وقدعَرَضْتُ فى هذا الاجتماع البيان الخاص بضرورة إلغاء السلطنة العثمانية. وفى اجتماع المجلس فى اليوم الأول نوفمبر ١٩٢٢، طُرحت نفس المسألة لمناقشات طويلة. وشعرت بضرورة عرض بيان مفصل حول هذا فى المجلس أيضا. وأوضحت مستندا على الوقائع التاريخية وباحثا

فى تاريخ الإسلام والترك[111]، إمكانية الفصل بين السلطنة و الخلافة، وأن يكون مجلس الشعب التركى الكبير صاحب مقام الحاكمية الشعبية والسلطنة الشعبية. وشرحت أن الخلافة قد انتهت بالفعل من على وجه الأرض بإعدام هولاكو للخليفة المعتصم، وإذا كان السلطان سليم الأول الذى حكم مصر فى عام ١٥١٧، لم

---

[111] كان أتاتورك مثقفا مهتما بقراءة التاريخ، فقرأ تاريخ العالم وتاريخ الأتراك والتاريخ الإسلامى. وكانت ثقافته غير مقصورة على قراءة ما كتبه الأتراك فى التاريخ، بل قرأ أيضا ما كتبه الأوروبيون، وما تُرجم من اللغات الأوروبية إلى اللغة التركية ، واستطاع أتاتورك من خلال هذه الكتب أم يكوّن فكرته عن التاريخ الإسلامى بالصورة التى تتفق مع توجهه الفكرى وثقافته. فقد تأثر بأفكار ليون كاتانى التى ضمنها كتابه تاريخ الإسلام. وهو ما تنبينه من آراء أتاتورك فيما يتعلق بالرسول عليه الصلاة والسلام، واسمه نسبه ولقبه ونبوته أيضا. وقد تبنى أتاتورك أفكار ليون كاتانى فى التاريخ الإسلامى وأتجه إلى جعل هذه الأفكار أساس ثقافة الشباب التركى عن تاريخ الإسلام ، وكان ذلك من خلال المادة التاريخية التى كتبها أتاتورك بنفسه لتكون ضمن كتاب التاريخ فى المدارس الثانوية التركية، وأعتمد أتاتورك فى كتابتها على ما ورد فى كتاب كاتانى. ومن هذه المعلومات التىاقتبسها أتاتورك أن " اسم محمد ، ليس هو الاسم الأصلى للنبى ولكنه لقبه، أما اسمه الأصلى فغير معروف، وأن ما يقال عن اسم والده عبد الله ، عباره عن كلام غامض ، فهذا الاسم لم يكن معروفا قبل الاسلام، وأن جده عبد المطلب لا توجد وثائق تاريخية تثبت هذا النسب، وأن محمدا ، كان ينتمى إلى عائلة فقيرة مجهولة، مات أبواه، فانتمى إلى عبد المطلب الذى اشفق عليه ورباه ثم ادعى محمد أنه منسوب إلى عبد المطلب ليكسب نفسه قوة وشرفا، ولأن محمدا فى بداية دعوته لم يقل انه رسول الله ولم يخطر هذا على تفكيره، لكن هذه الفكرة تكونت لديه بعد سنوات حاول فيها نشر أفكاره. لمقارنة هذه الأفكار بين أتاتورك وليون كاتانى ، انظر، şemseddin Güler , a.g.e,s.٤١,٤٥,٤٧,٥١, على التوالى نقلا على التوالى عن

Atatürk Din ve Laiklik üzerine Doğu Perinçek Kaynak Yayınları,٢.basım,İstanbul,aralık ١٩٩٧,s.١٤٥,١٤٩,١٥١,٥١.

ومقارنتها بما ورد فى كتاب:

Gürbüz D. Tüfekçi, ATATüRK' üN Okuduğu Kıtapları " özel işaretleri, uyarıları ve düşütüğü notlar ile, türkiye iş banksı kültür yayınları, Atatürk Dizisi : ٢٥,yonca matbaası, ankara ١٩٨٣,s.٣٣٠,٣٣٤,٣٣٥.

نقلا عن:

له ئون قاتانو، اسلام تاريخى ، ترجمه عن الإيطاليه حسين جاهد، استانبول، طنين مطبعه سى ، ١٩٢٣، ص١٣٩و١٥٤و١٥٦و ١٦٠،

يعط اهتماما للاجئ هناك يحمل لقب الخليفة فلا يوجد إذن لقب خلافة موروث إلى يومنا هذا .

بعد هذا، حوّلت التقارير المتعلقة بالمسألة إلى ثلاث هيئات: هيئة المؤسسات الرئيسة، وهيئة الشرعية، وهيئة العدلية. واجتمعت الهيئات الثلاث في مكان واحد، وكان الوصول إلى حل ونتيجة تتفق مع الهدف الذى تتجه إليه، أمرا عسيرا. وكان من اللازم أن أراقب الوضع عن قرب وبنفسي[١١٢].

إجتمعت الهيئات الثلاث في غرفة. وانتخب لرئاستها الشيخ مفيد أفندى. وبدأوا في مناقشة الموضوع. واستنادا على السفسطة[١١٣] المعروفة، إدّعى الشيوخ أعضاء الهيئة الشرعية، أنه لا يمكن فصل الخلافة عن السلطنة، ولم يبدُ أن هناك مخرجا أمام الذين تصدوا بجرّية لنقض وتجريح هذا الادعاء. وكنا نستمع إلى المناقشات في ركن نفس الحجرة شديدة الزحام . وقد أدركنا أنه من العبث الانتظار حتى ينتهوا إلى النتيجة المرجوة من المناقشة[١١٤] . وفي النهاية أخذت الكلمة من

[١١٢] يقول رضا نور في توضيح أسلوب مصطفى كمال في إنفاذ آرائه" كان هذا هو ديدنه، وكان يعمل هذا في مجلس الشعب بعد ذلك، يعطي إستراحة، وفي أثنائها يقوم بلقاء شخصي مع الأعضاء ، يكذب ويهدد ويزور، ويعمل على ترويج الفكرة التي يريدها بمختلف أساليب المؤامرات، انظر، رضا نور، حياتي وذكرياتي،

[١١٣] السفسطة في اللغة بمعنى قياس مركب من الوهميات والغرض منه إفحام الخصم وإسكاته ، وهو مشتقة من كلمة سفسط بمعنى غالط وأتى بحكمة مضللة. انظر ، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط٢، القاهرة ١٩٧٢، ص ٢/٤٣٣.

[١١٤] نُطق ، ص ٤٢١.

رئيس اللجنة المشتركة. وصعدتُ فوق المقعد الذى أمامى. وقلت هذه الكلمات بصوت عال :

أيها السادة ، إن العلم يقول إن السلطة والسلطنة ليستا هبة أو منحة من أحد إلى أحد . ولا تمنحا بالمناقشة والمباحثة. السلطة تنتزع بقوة وقدرة السلطنة. لقد اغتصبت الأسرة العثمانية سلطة الأمة التركية واستولت على السلطنة بالقوة . واستمروا فى هذا التسلط منذ ستة قرون ، أما الآن فإن الشعب التركى بصدد وضع حد لهؤلاء المغتصبين و قد أعلن الشعب العصيان ، وأخذ الشعب بالفعل السلطة والسلطنة ، وهذا أمر واقع . موضوع المناقشة ليس هو هل سنترك للأمة السلطة والسلطنة ، أم لا ؟ فهذا الأمر أصبح أمرا واقعا وحقيقة معلومة . وهذا سيتحقق على كل حال . إذا نظر المجتمعون هنا و المجلس وكل إنسان إلى المسألة على أنها مسألة طبيعية، فسيكون متفقا معى فى الفكر، وإذا جرى الأمر على عكس هذا، فسيتم صياغته فى دائرة القواعد المرعية أيضا، لكن من المحتمل أن بعض الرؤوس سوف تقطع[115] . وعندما نصل إلى الناحية العلمية للمسألة، فلا مجال لدهشة أو قلق السادة الشيوخ ، ودعونى أقدم بعض الإيضاحات العلمية فى هذا الخصوص. واستفضتُ فى عرض بعض الإيضاحات. بناء على هذا قال مصطفى خواجه أفندى

[115] كان أتاتورك وهو يهدد بقطع بعض الرؤوس ، يصوب عينيه على شيخ الإسلام مصطفى صبرى الذى كان يعارضه معارضة قوية. انظر، Çağkar Kırçak,a.g.e.,s.۲۱۷ وكان السلطان وحيد الدين يقول أن أتاتورك" رجل خطر لا يمكن السيطرة عليه إذا أعطى النفوذ" انظر،ارمسترونج، ص۱۰۹

أحد نواب أنقرة :" عفوا يا سيدى . كنا نفهم المسألة من وجهة نظر أخرى ، لكننا استنرنا بتوضيحاتك ، وسوف تقوم اللجنة المشتركة بحل المسألة .

وبسرعة وُضِعَت لائحة القانون ، وتُليت في اليوم نفسه في الجلسة الثانية. فأعتليتُ المنصة لأتصدى لاقتراح أخذ الرأى بالأسماء. وقلت : لا حاجة لهذا . أظن أن المجلس الموقر سيوافق بالإجماع ، فالمجلس هو الأساس الذى سيحافظ على استقلال الدولة والشعب إلى الأبد . وارتفعت الأصوات بالرأى . وفى النهاية وضع الرئيس، الرأى وقال : موافقة بالإجماع. لكن ترامى إلى السمع صوت معارض يقول : "أنا غير موافق فتعالت الأصوات لتسكته قائلة "ولا كلمة". وهكذا أيها السادة ، هكذا جرت الصفحة الأخيرة من مراسم انهيار وانقراض السطنة العثمانية[116] .

إننى أفضّل أن أضع الرأى العام أمام حقيقة الوضع .

إنه بموجب نظام توارث سقيم[117] استطاع إنسان سافل ، أن يحرز لقبا

---

[116] نطق ،. ص ٤٢٢.

[117] يقول السلطان وحيد الدين" اعتليت مقام الخلافة والسلطنة استنادا على الحق الذى كفله لى القانون الأساسى العثمانى، والبيعة العامة لأهل الحل والعقد" انظر، خطاب وحيد الدين ، قدير مصر أوغلو، الخلافة، ص ١٨٦ والمعروف أن انتخاب الخلفاء يتم بمشورة أهل الحل والعقد من المسلمين ، وهم جماعة أهل الشورى، صغيرة العدد الذين كان يركن إليهم الخليفة السابق فى مهام أموره الشورية، ويقطنون عاصمة الخلافة غالبا، مشهورون بالإسلام الصحيح، وحسن الجهاد فى سبيل الله بالعلم والعمل، المطلعون على أسرار الأحوال العامة داخلية وخارجية، الخبيره ببواطن السياسة وظواهرها ، الغيورة على مصلحة البلاد ، فيختارون لزعامتهم شخصا يؤمنون بصلاحيته، ويعتقدون بوجوب طاعته وقد يكون أهل الحل والعقد ثلاثة أو أربعة أو خمسة، ويتم التصديق على هذا الانتخاب بالبيعة العامة فى المسجد الجامع . انظر، عبد الدايم أبو العطاء البقرى الأنصارى، الفلسفة السياسية للإسلام، ط٢، ١٩٥٥،ص ص٣٩-٤٣.

عظيما ومقاما رفيعا [١١٨]، هذا الإنسان هوى بأمة أصيلة لها من عزة النفس درجة عالية[١١٩]، هوى بها إلى مثل هذا الوضع المخجل. وهكذا نستطيع أن نتفهم الوضع

[١١٨] كان وحيد الدين يرى أن مصطفى كمال مجهول الأصل وهو ثورى مقدونيو يشبه الصرب إلى حد كبير". وكان يعتقد أيضا أنه ومن التفوا حوله" ما هم إلا بلاشفة، وكانوا يعتمدون كثيرا على مساعدة البلاشفة لهم" انظر، Niyazi Berkes, Türkiyede çağdaşlaşma, s.٦١٧

وحسبما يقول بعض الكتاب السوفييت إن أتاتورك بعد أن ضمن المساعدة من السوفييت، اتجه إلى القضاء عليهم أو التخلص منهم. كما أنه فى الفترة من ١٩٤٠ إلى ١٩٥٠، كان بعض الأتراك يقولون صراحة إن الانقلابات التى جاءت بها الكمالية، مأخوذة كلها من الشيوعية، وجدير بالذكر أن أتاتورك كان يفكر فى البداية أن يطلق على شكل الدولة التى يفكر فيها اسم جمهورية الشعب" خلق جمهوريتى" لكنه خشى من تأثير هذه التسمية لأنها تعبير انقلابى يحمل رائحة السوفيتية" انظر، Niyazi Berkes,a.g.e,s.٤٧٧,s.٤٧٨,s.٤٩٠. ويقول جمال كراندء، وكان يعمل خادماالأتاتورك داخل قصره، وهو بصدد الحديث عن الأيام الأولى لالتحاقه بالعمل فى خدمة أتاتورك، يقول أن أتاتورك سأله عن اسمه، فقال له إسمى جمال الدين فكان تعليق أتاتورك على هذه الإجابة، الحوار التالى(" من أطلق عليك اسم جمال الدين هذا؟" فجاوبته بقولى: أطلقه على أبى.فقال بصوت فيه حدة: إذا كان الأمر كذلك فأى رجل كان أبوك! فلما قلت له إننى لا أعرف والدى" أزداد وجهه حدة وقال:" ما معنى أنك لا تعرف والدك؟ هلى ولدت من غير أب؟ أليس لك أب؟" فقلت له" لقد مات والدى وأنا فى الشهر التاسع من عمرى"وأدرك أتاتورك ما بدى علىّ من تأثر، فرقّ صوته فجأة وقال: يكفى أنك تعرف أمك. ثم أضاف بعد برهة:" أنا أيضا لا أعرف أبى". انظر،

Çamal Granda, Atatürk'ün Uşağı Idim, Hürriyet yayinları:٦٢ . Istanbul, ١٩٧٣, s.٢١.

وجدير بالذكر هنا أن على رضا أفندى المعروف بأنه والد أتاتورك، توفى وأتاتورك فى الثامنة من عمره،

Omer Sami Coşar, Atatürk Ansiklopedisi,istanbul ١٩٧٣,s.١١٠.

[١١٩] يرى بعض المؤرخين المحدثين أن مصطفى كمال كان وطنيا مخلصا معتزا بتركيته ولهذا كان يرى أن الإسلام جرد الأتراك من هويتهم وأن فضل الأتراك على الإسلام كبير، فالأتراك قدموا للإسلام أعظم الرجال فى شتى ميادين الفكر والفن فأعظم الآثار والفلسفات أبدعها الأتراك، والبارزين فى شتى ميادين لفنون والعلوم، وأعظم المنشئين، كلها من الأتراك، فى حين أنهم لم ينالهم من الإسلام إلا الحروب والدماء وأن المسلمين وكذلك العثمانيين كانوا دعاة حرب واعتمدوا فى فتوحاتهم على السيف، وليس على العمل، "فالذراع التى تحمل السيف ذراع منهكة، أما التى تعمل "بالفاس" فإنها تزداد قوة مع مرور الأيام، وعندئذ يمكنها أن تسود "يضرب أتاتورك مثالا هنا، أن الفرنسيين عند وصلوا إلى كندا دخلوا بالسيف أى بالقوة، ودخلها الإنجليز بالفأس والفلاحين، فانتصر أصحاب الفأس فى صراعهم مع أصحاب السيف"، انظر، =

بشكل طبيعى .

والحقيقة مهما كان السبب ، ومهما كانت الصورة ، فإنه من المحزن التفكير فى أن يكون مخلوق وضيع مثل وحيد الدين[120] رأى أن وجوده بين أمته خطر يهدد حياته وحريته[121] . من المحزن أن نراه قائما على رأس أى أمة ولو لمدة دقيقة أخرى. ومما

-şeref Aykut,KAMALIZM, muallım ahmet halit kitap evi,istanbul ١٩٣٦, s.٣٦.

وأيضا ماقاله أتاتورك فى Enver Ziya Karal,a.g.e.,s.٩٢

[120] تربى وحيد فى القصر تحت حكم السلطان عبد الحميد الثانى، الذى أعجب به ودربه أحسن تدريب فقد كان أحب أخوته إلى نفسه وأقربهم منه فى الشكل والتكوين، ودائما ما يدعوه عبد الحميد إلى مجلسه تعرّف وحيد الدين وهو ولى للعهد بمصطفى كمال (أتاتورك)، وذلك قبيل سفر وحيد الدين ألمانيا وتم تعيين مصطفى كمال ياورا لولى العهد ، وكان الانطباع الأول الذى كونه أتاتورك عن وحيد الدين، إنه "عاجز أبله" لكنه سرعان ما تبين أنه رجل يقظ موفور الانتباه ينظر بعينين ذكيتين ثاقبتين .كان وحيد الدين فى بدء الأمر معجبا ببطولة أتاتورك العسكرية التى أظهرها فى معركة جناق قلعة ، ويتعامل معه معاملة أثارت انتباه أتاتورك نفسه، إذا أشعل وحيد الدين بنفسه السيجارة لأتاتورك وهو تصرف له معناه فى البوتوكول حينا يصدر من وحيد الدين وهو السلطان والخليفة ، نحو أحد ضباطه الكبار ، وقد شجعت هذه المعاملة أتاتورك فسعى لكى يوطد نفوذه وتأثيره على وحيد الدين ، كى يصبح القوة المحركة لصاحب العرش المقبل، ومن هذا الطريق يرتقى إلى القمة ويستأثر بالسلطة التى يريدها وأن يصاهر السلطان.انظر، هـ.س . ارمسترونج،نفس المرجع، ص ٨٧- ٨٩، وأيضا ،

Necip Fazil Kısakürek, a.g.e., s.٣١.

[121] يقول وحيد الدين فى شرح سبب خروجه من استانبول" إن حاكما مثلى تبوأ فعلا بالإرث والاستحقاق أكبر وأعظم منصب فى الدنيا وهو مقام الخلافة والسلطنة، لايمكن أبدا أن يقترف جرما شنيعا مثل الخيانة الوطنية. لكننى وضعت نصب عينى شرف واعتبار هذا المقام الرفيع وهو مقام الخلافة، ... لم تكن مفارقتى (للوطن) من قبيل الخوف من المحاسبة على تصرفاتى من جانب أولئك الذين أصبحوا فى موقع المحاسبة بعد الحرب العمومية، ولكن عندما يصبح الإنسان محروما من حق الكلام و الدفاع عن نفسه ةهو أمر يتنافى مع كافة القوانيين وتصبح حياتى عرضة للخطر، وهو أمر لا يقبله العقل السليم ويتنافى مع الأمر الإلهى، لذا كان خروجى عباره عن العمل بالسنة الشريفة فى الهجرة النبوية ، والعمل بفحوى أن " الفرار مما لايطاق من سنن المرسلين" انظر، Kadir Mısıroğlu, a.g.e.,s.١٩٦. ويقول رفعت باشا أحد المقربين لأتاتورك فى شرح سبب خروج السلطان وحيد الدين من استانبول، وأنه لم يكن يفكر فى مغادرة البلاد حتى اقتنع أن وجوده قد يتسبب فى الإضرار بالوطن والشعب ةالأسرة العثمانية. " قبل إلغاء السلطنة بعشرة أيام، كان رفعت باشا فى استانبول . وعندما ألغيت السلطنة التقى=

يستحق الشكر أن هذا الوضع ما زال متماديا في دناءته بعد أن خلعه الشعب[١٢٢] من مقام السلطنة الموروث. ولا شك أن مبادرة الشعب التركي بهذا (الخَلْع) أمر جدير بالتقدير .

باستطاعة أي مخلوق عاجز، بليد الحس ومحروم من الإدراك أن يقبل الدخول في حماية دولة أجنبية، لكن ليس من المقبول أبدا القول بأن يحمل مخلوق كهذا، صفة خليفة كل المسلمين. ولكي يكون هذا التصور صحيحا أي أن يكون بحق خليفة المسلمين ، فسوف يؤدي بنا إلى أن نكون أسرى في بيوتنا ، وأن تكون كل الشعوب الإسلامية أسيرة .

أهكذا تكون الحقيقة في الدنيا ؟ إننا نحن الأمة التركية كنا على امتداد تاريخنا ، مثالا للحرية والاستقلال ، وقد شرحنا كيف استطعنا أن نقضي على لعبة الخلفاء الذين استباحوا كل أنواع الذل ، لكي يحافظ إنسان - بوضاعة - على حياته التي لا قيمة لها لمدة يومين ونصف آخرَيْن.

وقد أيدنا بهذه الصورة ، الحقيقة المعلومة وهي أن الدول والشعوب في

= بالسلطان. لم يكن السلطان يفكر في مغادرة البلاد. وكان مقتنعا أن القرار الذي أصدره مجلس الشعب الكبير مغاير للحقوق الأساسية . لاسيما وأن هذه المسألة القانونية أثارها فيما بعد، بعض الأشخاص جلال الدين عارف مدرس الحقوق الأساسية ولطفي فكري بك. وقال رفعت باشا للسلطان أن الأفكار مشوشة في أنقرة، وربما يقدمونكم للمحاكمة.فقال السلطان إنني مستعد للمحاكمة ، ليس هناك ما أخشاه في هذا. فقال له رفعت باشا إنه لابد من التضحية من أجل سلامة الدولة والشعب وحتى لا يفسح المجال لحدوث قلق بين الأهالي. وبهذه النقطة الحساسة فقط، تنازل السلطان عن إصراره ، وجعلناه يتخذ قرارا بمغادرة الدولة" انظر، Ziya Nur Aksun, aa.g.e.,c.٦,s.٣٦٧.

١٢٢ نُطُق ، ص ٤٢٣.

علاقاتها مع بعضها البعض، يجب ألا تولى أى أهمية إلى الأشخاص الذين بلغ بهم التدنى حد أن يتسببوا في الإضرار بالدولة التى ينتسبون إليها على وجه الخصوص، والإضرار بالشعب،ولا يفكرون فى شئ آخر سوى مكانتهم وحياتهم الشخصية.إن وضع نهاية لعصر التعلق بنظام يعتمد على المانيكانات فى العلاقات بين الشعوب، يجب أن يكون التمنى الحقيقى للعالم المدنى .

أيها السادة المحترمون، لقدخلع مجلس الشعب الكبير ذلك الخليفة الهارب . وانتخب بدلا منه الخليفة عبد المجيد أفندى .

كان من الضرورى للمجلس قبل انتخاب الخليفة الجديد أن يتأكد أنه ليس هناك احتمال لأن يراود الشخص المنتخب حلم السلطنة أو الدعوة إليها وألا يكون هناك احتمال لأن يلجأ إلى أى دولة أجنبية . لهذا كتبتُ إلى رفعت باشا وهو رجلنا الموجود فى استانبول بأن يتقابل مع عبد المجيد أفندى ، وأن يأخذ منه ردا مكتوبا بخط يده يتعلق بقبوله الكامل للقرار الذى اتخذه مجلس الشعب الكبير فيما يتعلق بالخلافة والسلطنة ، وأن يرسل هذه الوثيقة إلينا وقد فعل. وبتاريخ ١٨ نوفمبر سنة ١٩٢٢ أعطيتُ التعليمات إلى رفعت باشا فى استانبول ببرقية بالشفرة. وضمنتها النقاط الأساسية التالية :

" أن يستخدم عبد المجيد أفندى لقب خليفة المسلمين . وان يكون البيان الذى سيعلن للعالم الإسلامى تحت إشراف رفعت باشا وأن يبلغه لى بالشفرة أولا .

وسيعاد إليه بالشفرة بعد تصويبه و يُبَلّغ إلى عبد المجيد أفندى بإشراف رفعت باشا أيضا . ثم ينشر بعد ذلك. ولابد أن تكون النقاط الأساسية لهذا البيان كالتالى :

(أ)أن يُعْرب عبد المجيد أفندى عن سعادته صراحة لانتخابه خليفة من قِبَل مجلس الشعب التركى الكبير .

(ب). أن يَقْبَح تصرف وحيد الدين أفندى صراحة .

(ج) أن يَذْكر مواد قانون المؤسسات الرئيسة حتّى المادة العاشرة منه، بصورة مناسبة، وأن يذكر المعانى الهامة فيه، ومفادها إظهار أن شكل الدولة التركية وحكومتها ونظام إدارتها ومجلس الشعب التركى، هو الأنفع والأنسب للشعب التركى ولكل العالم الإسلامى. ويذكر هذا كله ويؤكد عليه[١٢٣] .

(د) أن يَذْكر بلسان الشكر والتقدير مساعى الحكومة التركية الوطنية ، وخدماتها السابقة.

(هـ) غير النقاط المذكورة، يجب ألاّ يتعرض هذا البيان لأى فكرة أو نقطة يمكن أن تعتبر أفكارا سياسية .

وفى ١٩ نوفمبر ١٩٢٢ أرسلتُ إلى عبد المجيد أفندى برقية مفتوحة أبلغته فيها أن "بموجب قانون المؤسسات الرئيسة ، يكون مجلس الشعب التركى هو الممثل الوحيد للشعب، ويتشكل من ممثلى الشعب الحقيقيين ، والمتكفلين بالمحافظة على

[١٢٣] نطق ، ص ٤٢٤.

حاكمية الدولة التركية التى تتمثل وتتركز فيه الصلاحية التشريعية والقوة التنفيذية .
وفى إطار الأسباب والقواعد الملزمة التى قبلها مجلس الأمة الكبير بالاتفاق فى أول نوفمبر سنة ١٩٢٢ ، قرر هذا المجلس العالى فى جلسته المنعقدة فى ١٨ نوفمبر سنة ١٩٢٢ انتخابكم لمقام للخلافة .

وبتاريخ ١٩ نوفمبر سنة ١٩٢٢ أرسل إلينا رفعت باشا برقية مشفرة ردا على هذه البرقية قال فيها : إن عبد المجيد أفندى يود أن يوقع قبل اسمه بلقب خليفة المسلمين وخادم الحرمين الشريفين. ويستطلع الرأى فى امكانية خروجه إلى صلاة الجمعة وهو يرتدى الخلعة والعمامة على التسق الذى كان يرتديه السلطان محمد الفاتح – أما فيما يتعلق بمضمون البيان الذى سيصدره إلى العالم الإسلامى فإنه يعتذر عن الخوض فى الحديث عن أى أمر يتعلق بوحيد الدين أفندى ، (ويطلب) أن ينشر هذا البيان فى جرائد استانبول باللغة التركية مع ترجمة له إلى اللغة العربية .

وفى ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٢٢ أرسلتُ إلى رفعت باشا الرد على هذه البرقية وقلت فيه :" إنه لا مانع من استخدام لقب خليفة المسلمين وخادم الحرمين الشريفين ، لكننى أرى أنه من غير الطبيعى أن يرتدى عبد المجيد افندى ملابس السلطان محمد الفاتح عند الخروج إلى مراسم الصلاة فى يوم الجمعة . ويمكن له أن يرتدى الريدنجوت والاستانبولى أما فيما يتعلق بملابس الجند ، فهى ليست مطروحة للمناقشة . كما أننى أجد أنه من اللازم أن يتناول البيان الذى سيتم نشره الحديث عن الشخصية

المعنوية للخليفة السابق بدون ذكر اسم وحيد الدين صراحة ، وكذلك يجب أن يتناول الحديث عن الدرك الذى انحدرنا إليه فى عهده.

وفى ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٢٢ تسلمت برقية مشفرة من رفعت باشا ، قال رفعت باشا فى المادة الأولى منها :" إن عبد المجيد افندى فى محررات له بتاريخ ٢٩ ربيع الأول، وقع بعبارة :" خليفة رسول الله خادم الحرمين الشريفين"، وذيل (ذلك التوقيع) باسم عبد المجيد بن عبد العزيز خان أيها السادة. إن عبد المجيد افندى الذى عبر عن حُسن تلقّيه للتنبيه الذى قمنا به، لم يستطع أن يمنع نفسه من استخدام " لقب خليفة رسول الله " مكان "خليفة المسلمين " ومن ذكر اسم والده مقرونا بلقب " خان ". وبعد استعراض مجموعة من الاقتراحات أعلن عبد المجيد أنه صَرَف النظر عن البيان الذى يتعلق بوحيد الدين لأنه حتى وإن كان ما أسفرت عنه أفعال ذلك الآخر (وحيد الدين) موضعا للبحث ، فإن بيان من هذ القبيل سيمس سلوكه وسجاياه . هذا الأمر جاء فى المادة الثانية من البرقية. أما المادة الثالثة من البرقية، فتشكل الخطاب الذى كتبه ردا على برقيتى التى أبلغته بها بصفتى رئيسا للمجلس، بانتخابه للخلافة، وكان الخطاب موجها لشخصى، وتعلوه عبارة "إلى حضرة المشير الغازى مصطفى كمال باشا رئيس مجلس الشعب التركى الكبير فى أنقرة"[١٢٤] .

[١٢٤] نطق ، ص ٤٢٥.

والمادة الرابعة من البرقية ، كانت عبارة عن صورة البيان الذى سيعلن على العالم الإسلامى وقد حرص(عبد المجيد افندى) فى هذا البيان على ذِكر استانبول بكونها دار الخلافة الإسلامية.

وفى البرقية المؤرخة ٢١ نوفمبر سنة ١٩٢٢ ، قلنا إنه يجب أن يلتزم عبد المجيد أفندى باستخدام لقب خليفة المسلمين كما سبق لنا القول بهذا ، بدلا من خليفة رسول الله ، وأن يكون رده على برقيتنا التى أبلغناه فيها بالخلافة ، موجها إلى رئاسة مجلس الشعب الكبير وليس إلى شخصى أنا ، كما يجب أن يحذر من استخدام أى كلمات ذات مضمون سياسى ولو بشكل عام فى محرراته.

أيها السادة ، إن الهدف الأساس الذى أردت الإشارة إليه بتوضيحاتى هذه التى تضمنت استطرادات لا أهمية لها ، هو : إننى بعد إلغاء السلطنة الفردية ، رأيت إلغاء الخلافة التى بدا أنها مقام له نفس مواصفات السلطنة الفردية ولكن بعنوان آخر. ووجدت أنه من الطبيعى أن أذكر هذا فى الوقت والفرصة المناسبين. ولا يمكن القول بأن الخليفة المنتخب عبد المجيد افندى، كان غافلا تماما عن هذه الحقيقة. وإذا كان يفكر أن هناك من يتخيلون أنهم سيمكنهم ضمان وتهيئة الأسباب والشروط له لإقامة السلطنة تحت لقب الخليفة. فلا يمكن أن يجوز أصلا إرجاع ذلك إلى سذاجة وغفلة أعضاء المجلس الذين أتوجه إليهم بخطابى هذا، ومؤيديهم الطبيعيين.

والآن أقدم لكم إذا رغبتم فكرة مختصرة عن المناقشات التى جرت فى الجلسات السرية التى عقدها المجلس فى ١٨ نوفمبر ١٩٢٢ بمناسبة انتخاب الخليفة .

كان فى المجلس أناس استقبلوا المسألة بمنتهى الجدية والاهتمام ، خاصة وأن السادة العلماء كانوا فى منتهى الدقة واليقظة فالموضوع متعلق باختصاصهم .

خليفة هرب . وتم خلعه وانتخاب آخر مكانه ، وعدم ترك الخليفة الجديد بعد ذلك فى استانبول ، و إحضاره إلى أنقرة[١٢٥] . ووضعه مباشرة على رأس الشعب والدولة. الخلاصة؛ كانت تُطرح أفكار ومخاوف على هذا الغرار ؛ إن قلقا أحدث أو ربما سيحدث فى تركيا وفى كل العالم الإسلامى من جراء هروب الخليفة، كان يجب أن تُتخذ التدابير لذلك .

كان بعض الخطباء أيضا، يتكلمون عن ضرورة تحديد مواصفات من سيتم انتخابه كخليفة وماهية صلاحياته .

واشتركت بدورى فى المناقشة والمباحثة ، وكانت أكثر بياناتى عبارة عن الرد على الأفكار المطروحة.

---

[١٢٥] كان أتاتورك معارضا لفكرة مجيئ الخليفة الجديد عبد المجيد أفندى إلى أنقرة لإجراء مراسم البيعة لهبعد انتخابه خليفة للمسلمين ، وهى الفكرة التى كان أغلب العلماء من أعضاء المجلس متمسكين بها ، فقد كان أتاتورك يرى أن مكانته ستتأثر بمجيء الخليفة إلى أنقرة وهو يحمل صفة رئيس العالم الإسلامى، من شأنه أن يجرد أتاتورك من صفته كرئيس لمجلس لشعب التركى الكبير وهو الذى كان يسعى للظهور بمظهر رئيس الدولة من منطلق أنه رئيس مجلس الشعب الكبير. وأصر أتاتورك على انتقال الأعضاء إلى استانبول لإجراء تلك المراسم بعيدا عن أنقره تجنبا لها التوقع . انظر، Cağlar Kırçak, a.g.e., s.٢١٨,٢١٩.

وكانت أسس ما قلته مندرجة فى العبارات التالية:

يمكن مناقشة وتحليل المسألة موضوع البحث بشكل مستفيض. لكن مهما تقدمنا فى المناقشات والتحليلات، فإننا سنتعرض لكثير من المشكلات المعوقات أثناء حل المسألة. فقط يجب أن ألفت الانتباه إلى هذه النقطة: إن هذا المجلس هو مجلس الشعب التركى. ويمكن أن تكون صفة وصلاحية هذا المجلس، شاملة ونافذة تجاه شعب تركيا وحياة ومقدرات الوطن التركى فقط. ومجلسنا أيها السادة لا يمكن أن يكتسب من تلقاء نفسه قدرة تشمل كل العالم الإسلامى. إن مجلسنا أيها السادة الذى يتكون من الشعب التركى ومن ممثليه، لا يمكن أن يدع موجوديته فى يد شخص يحمل أو سيحمل لقب خليفة، ولن يدعها. والقول إنه قد أحدث أو سيحدث قلق فى العالم الإسلامى من جراء هذا، فكل هذا القول عبارة عن كلمات بلا معنى وأيضا كاذبة. وإذا قال أحد هذا، فقد كذب وما يقول إلا كذبا. كان ردى على من اعترض على كلماتى هذه، أن قلت علنا: أنت يمكنك أن تكذب، ومستعد أن تكذب[١٢٦]!.

أيها السادة، بعد أن وضحت أنه لا مجال للضجيج، بينت للمجلس أن شكلنا وماهيتنا الجديدة، هى قوتنا وقدرتنا الكبرى فى نظر العالم. إن مقام الخلافة يمكن أن يكون واقعا تحت الأسر، وأولئك الذين يحملون لقب الخليفة يمكن أن يلجأوا إلى

[١٢٦] نطق، ص ٤٢٦.

الأجانب. فالأعداء والخلفاء باستطاعتهم أن يكونوا فى صف واحد، ويمكنهم أن يبذلوا جهودهم لعمل كل شئ. لكنهم لا يقدرون أبدا على زعزعة طرز الإدارة التركية الجديدة، أو سياستها، وقوتها. وإننى أكرر الآن وبشكل قاطع أن الشعب التركى هو صاحب الحاكمية بلا قيد ولا شرط، والحاكمية لا تقبل المشاركة بأى معنى وبأى شكل وبأى لون أو مدلول. ولا يمكن لأى فرد أيا ما كان حتى وإن كان يحمل لقب الخليفة، أن تكون له مشاركة فى مقدرات هذا الشعب. والشعب لن يسمح بهذا أبدا. ولا يمكن أبدا أن يقترح هذا أى نائب للشعب. وبناء عليه، فمن الضرورى خلع الخليفة الهارب، وانتخاب خليفة جديد، وأن نتحرك فى إطار وجهة النظر التى ذكرتها فى كل الأفكار المتعلقة بهذا الموضوع. ولا إمكانية مطلقا لأى شئ آخر.

أيها السادة، لقد وافقت أغلبية المجلس على الخطوات التى سيتم اتخاذها رغم بعض المناقشات والضوضاء. وما حدث بعد ذلك فنتيجته معلومة لديكم. وأجد أنه من غير المفيد، أن أرهق هيئتكم الموقرة بمناقشة الأوامر والتعليمات التى أصدرناها لتنظيم الإدارة فى استانبول بعد أن قدم عدد ممن يحملون اسم الحكومة في استانبول مثل توفيق باشا وعزت باشا ورفاقهم، استقالتهم إلى القصر نتيجة إلغاء السلطنة.

كنت فى أنقرة لفترة أتتبع فيها مناقشات المؤتمر المنعقد فى لوزان. كانت

المباحثات حامية وحافلة بالمناقشات، ولم تكن قد ظهرت بعد نتائج ثابتة تعترف بالحقوق التركية[١٢٧] . وكنت أرى أن هذا أمر طبيعي للغاية . لأن المسائل المطروحة للبحث على مائدة الصلح فى لوزان ،ليست محصورة فى فترة حديثة عمرها ثلاث أو أربع سنوات ، وإنما كانت تتناول حسابات قرن من الزمان . والانتهاء من هذه الحسابات وهى قديمة و متداخلة جدا و ملوثة ، بلا شك لن يكون عملا بسيطا سهلا[١٢٨] .

أيها السادة معلوم أن ما ورثته الدولة التركية الحديثة، كان بقايا مجموعة امتيازات تحمل اسم العهود العتيقة للدولة العثمانية. كانت العناصر المسيحية تمتلك كثيرا من الامتيازات والاستثناءات . والدولة العثمانية كانت لا تستطيع أن تفرض نظامها القضائى على الأجانب المقيمين فى الممالك العثمانية. كما كانت ممنوعة من أن

---

[١٢٧] فى هذا المؤتمر، عبّر عصمت باشا ممثل الدولة الحكومة التركية الجديدة، أمام وفود الدول المشتركة فى المؤتمر التى تحتل أراضى الدولة العثمانية ، أنها يشترك معها فى الهدف الذى اجتمعت هذه الدول من أجله وهو تصفية الدولة العثمانية وقال عصمت باشا، " إن مجلس الشعب التركى الكبير، ليس لديه أى أمل فى أراضى الدولة العثمانية القديمة الواقعة خارج حدود تركيا (الجديدة)، وأنها واحدة من الدول التى تريد أن تنحصر حاكمية وقدرة دولة تركيا الجديدة فى الأراضى الوطنية فقط" ومن هذا المنطلق طاللب أن تعامل تركيا الجديدة باعتبارها واحدة من الدول التى ورثت الدولة العثمانية مثلها مثل الدول المنتصرة على العثمانيين تماما ، وقال معبرا عن هذه الرؤية(نحن نريد أنت تقسم الديون العمومية (التى كانت على الدولة العثمانية) بين كل الدول التى ورثت بلدان الإمبراطورية العثمانية، فمادامن السلطنة قد جرى تقسيمها، فيجب أن تقسم الديون أيضا، وتدفع الحكومة التركية الجديدة نصيبها من هذه الديون بما يتناسب مع الرقعة التى ورثتها من الإمبراطورية العثمانية" وقد تم الأخذ بهذا الرأى العملى بالفعل.وبعد توقيع معاهدة لوزان، توالت وفود الدول المنتصرة لتهنئة الوفد التركى وكانت أكثر الوفود سعادة وحرارة فى تقديم التهنئة هما الوفدان الفرنسى والإنجليزى" انظر، Ali Naci,a.g.e.,s.٢٨١,١٤٠.١٤٣,٦٤٠

[١٢٨] نُطق ، ص ٤٢٧.

تحصل ضرائب من الأجانب مثل تلك التى تأخذها من رعاياها العثمانيين . وكان من الممكن أن تمنع الدولة من اتخاذ الإجراءات القانونية تجاه الأجانب الذين يقيمون فوق أراضيها الذين ينهشون حياة الدولة . لقد مُنع الشعب التركى، وهو العنصر الأصلى الذى أسس الدولة العثمانية، من التزود بالأسباب التى يضمن بها معيشة انسانية ، فلا يستطيع إعمار الدولة ، ولا يستطيع مد خطوط السكك الحديدية بل إنه لم يكن حرا فى بناء المدارس . وكان الأجانب فى مثل هذه الأحوال يتدخلون على الفور .

إن الحكام العثمانيين والمقربين لهم قد اقترضوا كثيرا بصورة تضيع اعتبار وشرف الدولة ، واستأثروا بجميع منافع الدولة ، فضلا عن استنفاذهم لكل منابع ثروة البلاد والشعب، كل ذلك من أجل أن يعيشوا حياة ملؤها الفخامة والأبهة. لدرجة أن الدولة عندما عجزت عن أداء فوائد هذه القروض ، نظر إليها العالم نظرته إلى دولة مفلسة .

أيها السادة ، إن الدولة العثمانية التى ورثناها لم يبق لها فى نظر العالم أى قيمة أو مزية أو اعتبار . وصارت خارج نطاق القوانين الدولية . وكان المفترض أن تكون فى صورة الموضوعة تحت الرقابة والوصاية . ووجدنا أنفسنا وقد وُضعنا فى مواجهة العالم وجها لوجه ،رغم أننا أبرياء من الأخطاء التى ارتكبت فى الزمن الماضى ، ولا نملك التسامح عنها ولا يجب أساسا أن نسأل عن هذه الحسابات

المتراكمة منذ قرون .

أيها السادة ، بعد إلغاء السلطنة ، وبقاء مقام الخلافة مجردا من الصلاحيات، كان من الضروري أن أقترب من الشعب لأتلمس وأبحث عن قرب و بشكل أكبر ، عن أحواله الروحية واتجاهاته الفكرية. فضلا عن هذا ، فقد دخل المجلس سنته الأخيرة، وبمناسبة الانتخابات الجديدة، قررت تحويل جمعية الدفاع عن حقوق الأناضول والروملي إلى حزب سياسي[١٢٩] . فقد كنت أرى أنه من الضروري في حالة إقرار الصلح أن تنقلب تنظيمات جمعيتنا إلى حزب سياسي[١٣٠] .

أيها السادة كانت أهم النقاط التي تشغل الناس في كل الأماكن التي زرتها[١٣١] هي: مؤتمر لوزان ونتيجته، والحاكمية الملية ومقام الخلافة، وما سيكون عليه وضعهما ،

---

[١٢٩] هذا الحزب هو حزب الشعب الجمهوري . وقد عبر برنامج الحزب عن عقيدة أتاتورك وفلسفته للدولة التركية الجديدة التي أقامها.كان أتاتورك يعتقد أن حرية الوجدان يجب ألا يكون لها حدود، فلا يُسأل الفرد لماذا آمن بهذا ولم يؤمن بذاك، ولماذا يعبد هذا ولا يعبد ذاك، وليست هناك قوة تجبر إنسان على هذان ولا تملك أي دولة قوة أو سلطة تعطيها هذا الحق انظر،

şeref Aykut,KAMALIZM, a.g.e., s.٣,١٣.

وكان يرى أن هذا البرنامج يجب أن يكون دستورحياة الشعب التركي، فهو برنامج واقعي وليس برنامجا غيبيا ويقول: " إن برنامجنا لإدارة دولتنا، هو برنامج حزب الشعب الجمهوري، والمبادىء التي يحتويها هذا البرنامج، هي الخطوط الأساسية التي سنهتدي بها في الحكم والسياسة. لكن هذه المبادئ تختلف عن دوغماتية الكتب التي يُعتَقَد أنها كتبا سماوية. إن الهاماتنا ليست من السماء ، وليست من الغيب، أنها مستقاة من الحياة مباشرة" انظر، şemseddin Güler , a.g.e,s. ٥٤

نقلا عن،

kazim öztürk, TBMM beşinci döne üçüncü toplanma,yılını açiş konuşması, kültür bakanlığı yayıları,c.٢,s.١١٣٥.

[١٣٠] نُطق ، ص ٤٢٨.

[١٣١] هذه الأماكن هي إزمير وبورصه وإزميد وأسكي شهر.

وعلاقاتهما، والحزب السياسى الذى فهموا أننى أعتزم تشكيله.

كان للشعب الحق فى أن يقلق، وأن يرغب لمعرفة ما يتعلق بالعلاقات التى تحكم الحاكمية الملية والخلافة الإسلامية وأوضاعهما ، وما سنكون عليه هذه العلاقات . لأنه فى الأول من نوفمبر سنة ١٩٢٢ أعلنا أن شكل الحكومة التى تستند إلى الحاكمية الفردية، قد صارت فى ذمة التاريخ للأبد اعتبارا من ١٦ مارس سنة ١٩٢٠ [١٣٢]، ثم حدث بعد ذلك نشاط وتحركات لمجموعة من أتباع شكرى خوجه[١٣٣] ممن كانوا يرددون القول : "إن الرأى الإسلامى العام قد غشيه التردد والقلق "وأثاروا مسألة أن الخلافة هى الحكومة نفسها . أما تعطيل حقوق وفعالية الخلافة، فهو أمر لا يملكه أى مجلس أو أى شخص هكذا قال هؤلاء، وبذلك استغرقوا فى حلم استمرار السلطنة الفردية التى ألغاها الشعب ومجلسه ، بعد أن أخذت

---

[١٣٢] فى هذا التاريخ الأول من تشرين الثانى (نوفمبر) سنة ١٣٣٨ (١٩٢٢)، وفى الجلسة الأولى من الاجتماع الثلاثين بعد المائة ألقى خطابا أمام مجلس الشعب التركى الكبير أعلن فيه أن مجلس الشعب التركى الكبير يقوم مقام السلطنة العثمانية، وأن الحاكمية الفردية لم يعد لها وجود وأن الحاكمية هى حاكمية الشعب التركى، وذلك بعد قدم عرضا تاريخيا صاغه برؤيته ليؤكد من خلاله أن السلطنة غير لازمة للخلافة وأنه لا ارتباط بين الخلافة والقدرة الفاعلة للخليفة، انظر، أتاتورك، خلافت وسلطنت مسئله سى حقنده توركيا بيوك ملت مجلسى رئيسى، مرجع سبق الإشارة إليه .

[١٣٣] هو اسماعيل شكرى أفندى واحد من العلماء البارزين فى الدولة العثمانية وعضو مجلس الشعب التركى الكبير عن "قره حصار صاحب" (افيون قره حصارى) انضم إلى المجلس بتاريخ ٢٣ ابريل سنة ١٣٣٦هـ (. وهو أحد أبطال حرب الاستقلال، قاد بنفسه أحد فرق المقاومة ضد الاحتلال ونال وسام حرب الاستقلال. وكان أحد الشخصيات الفعالة فى مجلس الشعب التركى الكبير، لم يعرف الانحناء لأى سلطة غير شريعة الإسلام. ولعب دورا بارزا فى توحيد جهود المسلمين فى الفترة ضد الاحتلال، ، انظر، قدير مصر اوغلو (اسماعيل شكرى خواجه، خلافت اسلامية وبيوك ملت مجلسى) ده ، استانبول ١٩٩٣، تقديم، ص٥.

شكل مقام الخلافة، وإقامة الخليفة مكان السلطان.

والحقيقة أن حزبا رجعيا نشر رسالة بعنوان الخلافة الإسلامية ومجلس الشعب الكبير[١٣٤] بتوقيع شكرى خو اجه مبعوث "قره حصار صاحب" ، وقد علمت وأنا فى إزميد بأمر هذه الرسالة التى انتشرت فى أنقره ، ووزعت على كل أعضاء المجلس فى ١٥ نوفمبر سنة ١٩٢٣ . وقد أرخت هذه الرسالة بتاريخ ١٩٢٣ = ١٣٣٩هـ فقط. لكن اتضح أنها كُتبت وطُبعت أثناء وجودى فى أنقره، وظهرت فى صباح يوم ١٢ يناير ١٩٢٣، وهو نفس اليوم الذى غادرت فيه أنقره.

كان شكرى أفندى ورفاقه يقولون : " إن الخليفة للمجلس والمجلس للخليفة"، وكانوا يريدون بهذه المغالطة والسفسطة، أن يظهروا مجلس الشعب فى صورة هيئة المشورة للخليفة ، وأن يظهروا الخليفة بمثابة رئيس المجلس، وبذلك يكون رئيسا للدولة[١٣٥] .

كان شكرى أفندى والسياسيون الذين يحرضونه ويدفعونه إلى التوقيع، يصدرون بيانات تُنصّب حاكما يحمل لقب الخليفة ، مكان حاكم يحمل لقب السلطان أو البادشاه ، مع فرق واحد هو أنه بدلا من وجود حاكم لكل بلد وكل شعب أيا ما كان ، تكلموا عن حاكم يشمل حكمه جماعة من البشر تتكون من ثلاثمائة مليون نسمة

---

[١٣٤] طُبعت هذه الرسالة بالحروف العثمانية فى انقرة عام ١٣٣٩هـ (١٩٢٣)فى مطبعة على شكرى وتم منعها فى عام ١٩٢٨. وقد قامت دار بدر للنشر بإعادة نشرها نشرا مصورا فى استانبول عام ١٩٩٣ ، مع اعداد بالحروف التركية الحديثة للنص ومقدمة له من إعداد قدير مصر أوغلو.

[١٣٥] نُطُق ، ص ٤٢٩.

من أعراق متنوعة ، تعيش فى كُل بشرية فى شتّى أنحاء الدنيا ، كما ناقش هؤلاء أيضا الصلاحيات والمهام الموكلة لهذا الحاكم الضخم الذى يشمل حكمه العالم الإسلامى، وجعلوا فى يَدَى هذا الحاكم قوة عددها عشر أو خمسة عشر مليونا فقط هم الشعب التركى ، من بين هذه الأمة المحمدية البالغ عددها ثلاثمائة مليون نسمة. هذا الحاكم الذى يلقبونه الخليفة سيدير شئون الشعوب (الإسلامية) وسينفذ الأوفق لمصالحها من الأحكام المتعلقة بالمسائل الدنيوية ، وسيدافع عن حقوق كل المسلمين ، وسيحيط بعزم وإرادة نافذتين بمصالحهم وشئونهم . إن الحاكم المسمى الخليفة ، سيقيم العدل بين المسلمين فى شتّى أرجاء الدنيا ، وعددهم ثلاثمائة مليون نسمة ، وسينظر فى حقوقهم العامة ، وسيمنع كل ما يفسد عليهم أمنهم وأمانهم ، وسيصد الاعتداءات المتوقعة من جانب الشعوب الأخرى على المسلمين . وسيكلف أيضا بإظهار الأسباب المدنية والعمرانية التى تحقق صلاح الجامعة الإسلامية .

أيها السادة المحترمون . لا قيمة أساسا لتكرار السفسطة التى نشرها شكرى خوجه، ذلك الأجهل الأحول الغافل عن حقائق الدنيا ، ومن هم على شاكلته . والتى رددوها للتغرير بأمتنا بادعائهم أن هذه السفسطة هى أحكام إسلامية . لكن يوجد على مر العصور كما يوجد اليوم رجال يستخدمون الدين أداة ووسيلة لتحقيق منافع واغراض شخصية وسياسية مختلفة[١٣٦] . مستغلين فى ذلك جهل الشعوب وتعصبها .

[١٣٦] عندما احتلت قوات الحلفاء استانبول عددا من المدن التركية ، وجه أتاتورك فى اليوم التالى إلى بتاريخ ١٧ مارس ١٩٢٠ بيانا من أنقره إلى كل العالم الإسلامى (حسبما جاء فى أول البيان)قال=

ومثل هؤلاء موجودون فى الداخل والخارج وهو ما يجعلنا مع الأسف مضطرين إلى القول بكلامنا هذا و إلى أن يصبح الإدراك والاختصاص فيما يتعلق بالدين نقيا وكاملا، ومتجردا من كل أنواع الخرافات وذلك بأنوار العلوم والفنون الحقيقية ، سوف يوجد بين البشر فى كل مكان ممثلون يمارسون لعبة الدين. ولما كانت الأفكار والأحكام التى ساقها شكرى خواجه ومن معه، لا يمكن فهمها، وغير قابلة للتنفيذ، وعارية من المعنى والمنطق ، فلابد وأن تكون صادرة من مخلوقات يطلق عليها أنها ساذجة ، وفى حالة دروشة مثل الخواجة أفندى[١٣٧] .

عندما يلزم حسب قولهم أن تشمل سلطة الخليفة والخلافة كافة المسلمين على

= فيه (إن استانبول وهى المركز العالى للخلافة الإسلامية المقدسة، قد جرى احتلالها بالقوة وتمت السيطرة على مجلس نواب الشعب، وعلى مقر الحكومة الرسمية. وهذا الحصار يستهدف كل العالم الإسلامى الظهير الوحيد للحرية والاستقلال ، أكثر من كونه موجه إلى الدولة العثمانية...... وأن دول الاحتلال بهذا التصرف وعن طريق أسر مقام الخلافة استهدفت حرية العالم الإسلامى الذى عاش منذ ألف وثلاثمائة سنة ، وسيعيش إلى الأبد بلا أدنى شك)

انظر،

Mustafa Onar, Atatürk'ün Kurtuluş Savaşı Yazışmaları, kültür akanlığı, Atatürk Dizisi/٤٥,c.٢,ankara,١٩٨٥,s.٤٤.

وقد استخدم أتاتورك هنا الخطاب الدينى الذى كان يدرك أهميته عند مخاطبة المسلمين فى أنحاء العالم الإسلامى، للتعبير عن ما تتعرض له عاصمة الخلافة الإسلامية المقدسه كما يقول.

[١٣٧] قال أتاتورك لشكرى أفندى عندما تعرف به فى بدء حرب الاستقلال التركية وهو يثنى عليه " إن وجود رجل مثلكم من علماء الدين فى مقدمة الأمة فى وجه الاحتلال، لهو أمر ضرورى للمحافظة على البلاد وحماية الدين والشريعة. ولقد علمت بجهودكم فى تهيئة الناس فى البيوت والجوامع والقرى لمقاومة الأعداء . وجهادكم هذا فى سبيل البلاد والدين لأمر جدير بالتقدير." ، انظر،

أشرف أديب ،(اسماعيل شكرى خواجه، خلافت اسلامية وبيوك ملت مجلسى) ده ، استانبول ١٩٩٣، تقديم، ص٢١.

وجه الأرض[١٢٨] ، ألا يجب من قبيل الإنصاف أن نفكر فى أن هذا الأمر سيلقى على كاهل الشعب فى تركيا عبئًا ثقيلا لمجرد أن الخليفة تنحصر كل قوته وكيانه من مجرد الأمر والنهى ؟وتبعا للمقتضيات والأحكام التى أوردوها ، فإن الحاكم المدعو الخليفة، سيكون صاحب الاختصاص فى النظر فى شئون الصين والهند وبلاد الأفغان وإيران والعراق وسوريا وفلسطين والحجاز واليمن وعسير ومصر وطرابلس وتونس والجزائر وفاس والسودان، وباختصار النظر فى أمور المسلمين فى كل أنحاء الدنيا ، وفى شئون الدول الإسلامية ، ومعلوم أن هذا درب من الخيال لا يمكن أن يتحقق أبدا فى أى وقت من الأوقات[١٣٩] . إن الجماعات الإسلامية تفرقت عن بعضها لمقاصد متباينة، وأسست كل جماعة منها خلافة قائمة بذاتها ، فالأمويون فى الأندلس، والعلويون فى المغرب ، والفاطميون فى مصر ، والعباسيون فى بغداد ، كل منهم أقام خلافة وسلطنة . بل إن كل ألف شخص فى الأندلس كان لهم أمير مؤمنين ومنبر. وهذا أيضا مذكور فى رسالة شكرى بك التى تحمل توقيعه .

أيتفق مع العقل والمنطق أن يعين حاكم تحت مسمى خليفة ، ليحكم دولا أو

[١٢٨] نُطق ، ص ٤٣١.

[١٣٩] نذكر هنا أن مسلمى الهند كانوايعلنون فى تلك الفترة " إن تعاطفنا مع الأتراك ليس عملا من أعمال السياسة، وليس مسألة حدود دول، إنما هو مسألة تتعلق بالدين. لأن سلطان تركيا هو خليفة رسول الله، وأمير المؤمنين. والمحافظة على طاعة السلطة الدنيوية للخليفة، بالنسبة لنا هـــو فريضـــة دينيـــة. والخلافة شرط للدفاع عن ديننا وسلامة الأماكن الإسلامية المقدسة من أت تمس، وصمان سيادة االإسلام وتبعية شبه الجزيرة العربية، وإنفاذ الأمر الذى أوصى به نبينا قبيل وفاته" انظر،
Niyazi Berkes, Türkiyede çağdaşlaşma, s.٤٩٩.

شعوبا إسلامية مستقلة، أو تقع تحت تابعية دول أجنبية ، متجاهلين هذه الحقيقة التاريخية ؟ خاصة وأن الاقتصار على حفنة من شعب تركيا للحفاظ على مكانة حاكم كهذا ، ألا يكون هذا الإجراء هو الأكثر تأثيرا من بين الإجراءات التى يجرى تطبيقها من أجل القضاء على الشعب التركى ؟. إن الذين يقولون إن "مسؤولية الخليفة ليست روحانية " و " أن القدرة المادية وقوة الحكومة هما الركن فى الخلافة". والذين يؤكدون ويرددون، أن الخلافة هى الدولة ، والخليفة هو رئيس الدولة كان قصدهم الذى يتصورون أنه يمكن حدوثه بسهولة، أن يتولى رجل يحمل لقب الخليفة رئاسة الدولة التركية .

أيها السادة المحترمون ، إن شكرى أفندى ورفاقه السياسيين لم يفصحوا عن مقاصدهم السياسية بصراحة . لأنهم يريدون أن يجعلوا منها قضية دينية تشمل العالم الإسلامى كله ، ولم يسفر هذا عن نتيجة سوى الإسراع بإلغاء لعبة الخلافة.

و من أجل إزالة التردد والقلق الذى ساد بين الناس فيما يتعلق بمسألة الخلافة أصدرتُ فى كل مكان عددا من البيانات والتوضيحات اللازمة. وقلتُ بشكل قطعى ": إننا لا يمكن أن نسمح لأى شخص مهما كان لقبه أن يتدخل فى مقدرات ومعاملات واستقلال الدولة الجديدة التى أسستها أمتنا . إن الشعب بذاته، سيحافظ على دولته التى أسسها، وعلى استقلالها إلى الأبد ".

وشرحتُ للشعب أن الخليفة المتصور ، والمكلف بتأسيس دولة إسلامية

كبرى، هذا الخليفة لكى يؤدى وظيفة لا يمكن أن تكون الدولة التركية ، وحفنة من أهلها تابعين طوع أمر الخليفة. والشعب لا يمكن أن ترضى بهذا . فشعب تركيا لا يمكن أن يلقى على عاتقه عبء وظيفة لها هذا القدر من مسئولية عظيمة ، وغير منطقية إلى هذا الحد .

قلت : إن شعبنا ، ولعدة قرون كان يتحرك من وجهة النظر الباطلة هذه. لكن ماذا حدث ؟ إن شعبنا قد ترك ملايين البشر فى كل مكان ذهب إليه ليخدم فيه، هل تعرفون عدد أبناء الأناضول الذين ماتوا ودفنوا فى صحراء اليمن ؟وكم من البشر ماتوا من أجل المحافظة على العراق وسوريا . ومن أجل السيطرة على مصر، ومن أجل الاستحواذ على أفريقيا . هل تعرفون هذا ؟ وهل تدركون ما هى النتيجة وما أدت إليه[١٤٠] ؟

إن الذين يدفعون الخليفة إلى تحدى العالم ويفكرون فى تنصيب خليفة ليكون صاحب التصرف فى أمور كل المسلمين [١٤١]، أقول إن هذه المهمة ليست مطلوبة من شعب الأناضول وحده ، إنما يجب أن يطلبها هؤلاء من الكتل الإسلامية الكبيرة التى

---

[١٤٠] قال أتاتورك فى البيان الذى وجهه إلى العالم الإسلامى عقب احتلال استانبول " إن هذه اللطمة المهينة الى تم توجيهها إلى شهداء مصر المقدسين والذى قارب عددهم العشرة الآف شهيد، وإلى المواطنين الذين هم جديرون بالاحترام ، وهم الآلاف من أهل سوريا والعراق الذين بذلوا أرواحهم، انظر،

Mustafa Onar, Atatürk'ün Yazışmaları, T.C. kültür bakanlıgı ,ankara ١٩٩٥,C.II,S.٤٤.

[١٤١] نطق ، ص ٤٣٢.

تكون من ثمانية أو عشرة أضعاف شعب الأناضول. وليس هناك شئ آخر تفكر فيه تركيا الجديدة ، وشعب تركيا الجديدة سوى حياتها وسعادتها. لم يعد لتركيا الجديدة هذه ذرة واحدة من شيء يمكن أن تقدمه للآخرين .

هناك نقطة أخرى فى هذا البيان أود أن أضعها أمام أعين الناس. لنفترض للحظة أننى قلت؛ لتقبل تركيا دورها الذى تتحدث عنه، ولتسر تركيا إلى هدف توحيد العالم الإسلامى كله فى نقطة واحدة، ولتقوده وتدير شئونه. بل ونفترض أيضا أنها نجحت فى هذا. كل هذا شيء حسنٌ؛ لكن إذا قالت لنا هذه الشعوب التى نريد منها أن تكون تابعة لنا وتحت إدارتنا: شكرا لكم، إنكم قدمتم لنا خدمات كبيرة، ومساعدات كثيرة، لكننا نريد أن نكون مستقلين ، ولا نقبل أن يتدخل أحد فى استقلالنا وحاكميتنا ! . نحن قادرون على إدارة شئوننا بأنفسنا . فى تلك الحالة، هل سيكون تعرضنا لهذا الاختبار فقط من أجل أن ينال الشعب التركى ، بعد كل هذه المساعى والتضحيات، مجرد الشكر والدعاء ؟! من ذلك يتضح أن أفراد هذه الزمرة التى تتحدث عنها يريدون أن يبيدوا شعب تركيا من أجل هوى وهوس ، ومن أجل وهم وخيال. وكان هذا هو الأصل فى منح الخلافة والخليفة كل هذه المسؤولية والصلاحية .

أيها السادة ، سألتُ الشعب : فى إيران أو أفغانستان وكل منهما دولة إسلامية، هل تعترف أى منهما بأى صلاحية من صلاحيات الخليفة ؟وهل يمكن لهذه

الشعوب أن تعترف بأى شىء من هذه الصلاحيات؟ . إنها لا تستطيع أن تعترف، وهى على حق، لأن هذا مُخل باستقلال الدولة وحاكمية الشعب .

إننى أبلغ هذا أيضا إلى الشعب؛ إنه يجب ألا تستمر بعد الآن الغفلة (التى تجعلنا) نظن أنفسنا حكام العالم . تكفى المصائب التى جلبناها على شعبنا بالغفلة التى بسببها لم نستطع أن نعرف موقعنا الحقيقى وأوضاع الدنيا وبالانصياع للغافلين. بل لا يمكن أن تدفعنا (هذه الغفلة) للاستمرار فى نفس المصيبة .

أيها السادة ، إن " ولز " أحد المؤرخين الانجليز ، كتب كتابا فى التاريخ نشر قبل عامين[١٤٢]. تضمَّن فى صفحاته الأخيرة مجموعة من الدراسات تحت عنوان "صفحات مستقبل تاريخ العالم" والقضية المستهدفة فى هذه الدراسات هى : (تأسيس) حكومة فيدرالية عالمية .

يعرض "ولز" فى هذا المبحث كيف سيمكن تأسيس حكومة فيدرالية عالمية، ويعرض تصوراته فيما يتعلق ببعض الخطوط الأساسية الفارقة لدولة كهذه، وكيف يمكن أن تكون الكرة الأرضية كلها تحت سلطنة عدالة واحدة وقانون واحد، إنه يتخيل هذا .

يقول ولز :" إذا لم تصهر كل الحاكميات فى حاكمية واحدة فريدة ، وإذا لم تظهر قوة فوق القوميات ، فسوف يفنى هذا العالم ". ويقول أيضا :" إن الدولة الحقيقية

[١٤٢] كان قول أتاتورك هذا فى عام ١٩٢٧. أى أن الكتاب المشار إليه نشر عام ١٩٢٥.

لا يمكن أن تكون شيئا آخر سوى الحكومة الفيدرالية العالمية ، التى ستصبح بمثابة الضرورة لمقتضيات الحياة العصرية " ويقول فى دراسته أيضا :" مؤكد أن البشر سيصبحون مضطرين إلى الاتحاد إن آجلا أو عاجلا ، إذا أرادوا ألا يسحقوا انفسهم تحت وطأة الاختراعات"[١٤٣] .

يقول (ولز) أيضا :"إنه غير معروف على الوجه الصحيح ما يلزم أن نفعله ، وما يجب أن نتجاوز عنه، حتى يخرج الحلم الكبير الخاص بتعاون البشرية إلى حيز التطبيق. ويمكن أن تقوم بهذا العمل الدول التى لديها أعراف سياسية خارجية عدوانية ، وذلك بتدعيم من اتفاق دولى عالمى. وأورد هنا أيضا من دراسات ولز قوله : " إن مصائب أوروبا وآسيا ، واحتياجاتهما المشتركة ربما ستشكل المحور الأساس لتوحيد الشعوب فى هاتين القارتين من العالم بدرجة ما . وربما يتقدم فريق من المتحدين ليحقق اتحادا عالميا" .

أيها السادة ، لا ننكر، كم هو عذب وجميل تخيل حكومة فيدرالية عالمية، يتطلب حدوثها شروط معينة، مثل ارتقاء وتكامل كل البشر فى التجربة والمعلومات والفكر، وتأسيس دين عالمى نقى غير ملوث يتم وضعه بشكل يفهمه كل إنسان ، ويتم تبسيطه بالتخلى عن المسيحية والإسلام والبوذية ، واتخاذ قرار بالتغلب على بذور العفن التى سممت أجساد وعقول الجميع عندما قبلوا أن يعيشوا حتى الآن فى ضعة

---

[١٤٣] نطق ، ص ٤٣٣.

وهوان وسط منازعات ولوثات وأمنيات واشتهاءات ساذجة. لدينا نحن أيضا تصور لخيال مشابه لجزء من هذا التصور والتخيل (الذى وضعه ويلز)، ليسعد به أنصار الخلافة والمؤيدين للجامعة الإسلامية . وذلك بشرط ألا يكونوا هم أصحاب السلطة على تركيا والنظرية التى تصورناها هى : أن كل المجتمعات الإسلامية التى تعيش فى أوربا وآسيا وأفريقيا وبقية القارات سيصبح فى المستقبل ، فى أى يوم منه، تملك الحرية والقدرة على استخدام إرادتها وتحقيق أمنياتها . وفى ذلك الوقت – إذا رؤى أنه من اللازم والمفيد – يمكن أن تحدث مجموعة من الائتلافات والاتحادات بصورة تتناسب مع ضرورات العصر . ولا شك أن لكل دولة ولكل هيئة اجتماعية احتياجاتها التى تطمئن وتؤمن كل منهم تجاه الأخرى . وهناك مصالحهم المتبادلة . وسيجتمع مندوبون ذوو صلاحيات، ليمثلوا هذه الحكومات الإسلامية المستقلة المتصورة ويعقدون مؤتمرا[١٤٤]، وتتأسس هذه العلاقات بين الدول الإسلامية.

[١٤٤] هذه الفكرة تشبه الفكرة التى طرحها الكواكبى فى كتابه " أم القرى". حيث تخيل أن مؤتمرا يضم مندوبين عن كل البلاد العربية والإسلامية، يعقد فى مكة المكرمة للنظر فى شئون هذه البلاد. وكان الكواكبى قد درس كتب فولتير وروسو وتشبع بآرائهم الحرة ،كما كان صاحب رؤية فى كيفية التغيير ويرى أنه " قبل مقاومة الاستبداد يجب تهيئة ما يحل محله، ومعرفة الغاية معرفة واضحة، ومتى وضحت الغاية المرسومة ، يجب السعى لإقناع الناس بها واستجلاب رضاهم عنها، ويجب أن ينشر ذلك فى كل الطبقات حتى يصبح عقيدة فيتلهفون جميعا إلى نيل الحرية. وكانت له فلسفة أخرى تتعلق بالأسباب التى تؤدى إلى التغيير فيقول :" إن العوام لا يثور غضبهم على المستبد إلا عقب أحوال مخصوصة ومهيجة فورية منها، عقب حرب يخرج منها المستبد مغلوبا ولا يتمكن من إلصاق عار الغلب بخيانة قواده، وعقب ظهور موالاة شديدة من المستبد لمن تعتبره الأمة عدوا لشرفها" انظر، عبد الرحمن الكواكبى، الأعمال الكاملة، دراسة وتحقيق محمد عمارة، ط٢، بيروت ١٩٧٥، (طبائع الاستبداد) ص٢٢٥-٢٢٦. وأيضا : انظر ،أحمد أمين، زعماء الإصلاح فى العصر الحديث، القاهرة ١٩٤٩، ص ٢٧٠.

ويتشكل مجلس مكون من مندوبى كل الدول الإسلامية لتأمين وحدة التحرك فى إطار شروط تتضمنها هذه العلاقات ، و المحافظة على هذه العلاقات المشتركة وتنميتها ، فإذا قالوا إن رئيس هذا المجلس سيمثل كل الدول الإسلامية المتحدة ، عندئذ لهم إن شاءوا أن يطلقوا لقب الخلافة على الحكومة الفيدرالية الإسلامية ، ويُطلقوا لقب الخليفة على الشخص الذى سيتم انتخابه لرئاسة المجلس المشترك ، وإلا فإن الأمر الذى لا يمكن لعقل أو منطق أن يقبله فى أى وقت من الأوقات؛ هو أن تترك أى دولة إسلامية صلاحيات وإدارة أمور العالم الإسلامى كله لشخص واحد .

أيها السادة ، أثناء انشغالى بقضايا الخلافة والدين[١٤٥] ، اطلعنا على النقطة التى

١٤٥ اطلع أتاتورك فى شبابه على كتابات فولتير وروسو وجوستاف لوبون ، وهضم تعاليم ضيا كوك آلب وعبد الله جودت وتوفيق فكرت. وكانت نظرة أتاتورك إلى الدين تقع تحت تأثير أفكار توفيق فكرت بالنسبة للدين، ورؤية ضيا كوك ألب إلى الدين من الزاوية الاجتماعية وعبد الله جودت . ضيا كوك آلب بمثابة الأب الروحي والمؤسس والمنظم والرائد للفكر القومى فى الأدب التركى الحديث وكان يدعو إلى القومية التركية بمعناها الواسع ،و إلى أن يعود الأتراك إلى أعرافهم التى كانوا عليها قبل الاسلام. وكان كتابه " توركجيلك اساسلرى" أى أسس الاتجاه التركى" أو" التركية" يمثل برنامجا قوميا فى اللغة والثقافة والأخلاق والنظام الاجتماعى.انظر، اورخان اوقار، دراسة أولية عن الحياة الفكرية خلال حركة التغريب،فى ، أكمل الدين إحسان ، مرجع سبق ذكره،ج٢،،ص ٢٩٦. وكان ضيا كوك آلب بحكم فكره القومى، مضادا للفكرة العثمانية، وكان يعتنق الفكر المادى . وكان بفكره القومى والمادى مصدر إلهام بشكل كبير للحركات الانقلابية التى احدثها أتاتورك فى تركيا. انظر، محمد حرب ، المثقف وتغيير نظام الحكم، حالة أتاتورك، مركز بحوث آسيا، الزقازيق ٢٠٠٠م، ص ٧٥. وعبد الله جودت (١٨٦٩-١٩٣٢م) طبيب عثمانى ، يأتى فى مقدمة من اعتنقوا الفكر المادى الوضعى وسعى لنشره بين المثقفين. وكان كتاب بوخنر الذى ترجمه عبد الله جودت إلى اللغة التركية، هو الأساس فى تكوين فكره المادى، وفى عام ١٩٠٨، نشر كتاب تاريخ الإسلام الذى ترجمه عن دوزى ، وقد صرح أنه يعتنق الأفكار التى جاءت فى هذا الكتاب مما يدل على معاداته للإسلام فى كافة معتقداته وأفكاره.(وجدير بالذكر أن أتاتورك قرأ هذا الكتاب) وهو صاحب شعار إتجاه تركيا ناحية أوروبا بشكل راديكالى. و من خلال مجلة اجتهاد سعى لوضع الأسس التى اعتمدتها الحركة الكمالية فيما بعد تجاه الدين " فقد نشر عبد الله جودت قبل الثورة الكمالية بعشرة أعوام برنامجا لتحديث تركيا قال فيه بإغلاق كل الزوايا، وإلغاء المحاكم الشرعية،=

تشكل العقدة في قانون المؤسسات الرئيسة، بالنسبة للرأي العام، خاصة الأفكار المستنيرة. بعد إعلان الجمهورية أيضا، أضيفت إلى القانون نقطة ثانية تمثل عقدة

= واستبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية، والأخذ بالقانون المدني الأوروبي، كما نادى بالعلمانية" وكانت أفكار عبد الله جودت هي الأيديولوجية الرسمية للجمهورية التركية. انظر: اورخان اوقار، في الدولة العثمانية، مرجع سبق ذكره، ص٢٨٧-٢٨٨.

Atilla Yargıcı, 'Kemalizmin Fikir Kaynakları,ittihad yayıncılık, istanbul ١٩٩٣,s٦٣-٦٥.ve, Bernard lewis, Modern Türkiye'nin Doğuşu, türk tarih kurumu,ankara ١٩٨٤,s٢٣٥-٢٣٦.

,Lord Kinross, Atatürk, Sander Yayınevi, Beşinci Baskı, Istanbul, ١٩٧٣, s.٨٥.

وقرأ ترجمة عبد الله جودت لكتاب جوستاف لوبون المسمى "علم النفس الاجتماعي" وفي هذا الكتاب يقول لوبون، إن الهزات الكبيرة التي تسبق التغيرات الحضارية تتزامن مع التغيرات السياسية الهامة، مثل احتلال الشعوب، والقضاء على الأسر الحاكمة، وأهم هذه التغيرات الأساسية هي التي تتعلق بالفكر، والمعتقدات والإيمان. ويساعد على تحقيق هذا التغيير عاملان، أحدهما، هدم المعتقدات الدينية والسياسية والاجتماعية المرتبطة بحضارة المجتمع، والعامل الآخر، خلق فكر جديد تماما له ضوابطه"

Hilmi Ziya Ulken,Türkiye'de Çağbaş Düşünce Tarihi, Istanbul ١٩٧٩,s.٢٤٥.

وقد قرأ أتاتورك هذا الكتاب ووضع عليه ملاحظات بخط يده. ومن هذه العبارات التي توقف عندها أتاتورك" إن لا يكفي فتح أراضي شعب من الشعوب، لكن يجب تسخير وهزيمة روحه لكي تحكمه" وهذه الكلمة الأخيرة أضافها أتاتورك بيده، انظر،

Gürbüz D. Tüfekçi, ATATüRK' üN Okuduğu Kıtapları " özel Işaretleri, Uyarıları ve Düşütüğü Notlar ile, Türkiye Iş Banksı Kültür Yayınları, Atatürk Dizisi : ٢٥,Yonca Matbaası, Ankara ١٩٨٣,s.١٧٣.

لهذا لم يكن موقف أتاتورك من الدين موقفا سياسيا، إنما كان موقفا فكريا تكون من خلال ثقافته والتزم به أتاتورك في جميع إجراءاته التي اتخذها بعد إعلان الجمهورية التركية دولة علمانية وأعطى أهمية خاصة لتحطيم التأثير الأيديولوجي للدين على المجتمع .وكان يقول إن "الدين لا يلبي احتياجات الأفراد في الدول التي تنشد الرقي، وأن المجتمع هو الكفيل بتلبية هذه الاحتياجات". يقول أتاتورك: "كان الإنسان يبحث عن قوة تحميه، فخلق في وجدانه قوة أطلق عليها اسم الله، وكانوا يطلبون من هذه القوة كل ما يأملون فيه. وكان الانسان ينتظر كل شيء من هذه القوة المسماه الله.، لكن الانسان في العصر الحديث، لا يجب أن ينتظر كل شئ من الله، لكن من المجتمع، فالمجتمع هو القادر على تلبية احتياجات الانسان كلها، والمجتمع هو مصدر كل تطور وطمأنينة وثقة" انظر

نقلا عن şemseddin Güler ,a.g.e.,s.٥٥,

Enver Behnan,Atatürk ve Milli Mücadele Tarihi,s.٣٠٥.

أخرى ، تضاف إلى مسألة المحافظة على تلك العقدة الأولى نفسها . الذين رأوا هذه النقطة الثانية لم يستطيعوا أن يخفوا دهشتهم و ما زالوا لا يستطيعون إخفاءها إلى اليوم. و ينبغي أن أوضح لكم هاتين النقطتين : إن المادة السادسة من قانون المؤسسات الرئيسة الصادر بتاريخ ٢٠ يناير سنة ١٩٢١ والمادة السادسة والعشرين من قانون المؤسسات الرئيسة الصادر بتاريخ ٢١ أبريل سنة ١٩٢٤ ، تتناولان صلاحيات مجلس الشعب الكبير [١٤٦] . تنص المادة الأولى في بدايتها على أن المسؤولية الأولى للمجلس هي "تنفيذ الأحكام الشرعية "وهناك من ملأهم التردد في فهم ماهية هذه المسؤولية ، وما المقصود من عبارة الأحكام الشرعية . ذلك لأن مجلس الشعب الكبير وضح في المادة المذكورة وبشكل شامل المسؤولية المذكورة بأنها " وضع القوانين ، وتعديلها وتفسيرها وفسخها والغائها ... إلى آخره ، بل أن وجود عبارة " تنفيذ الأحكام الشرعية " في شكل عبارة مستقلة ، يبدو أمرا زائدا . لأن القول بأنها أحكام شرعية يعني القول بأنها قانون. معنى هذا أن الأحكام الشرعية لا تعني شيئاً آخر سوى الأحكام القانونية ، ولا يمكن أن يكون غير هذا . فضلا عن هذا فإنها لا تساير مقتضيات الحقوق العصرية. وعندما يصبح الأمر كذلك ، يجب أن يكون المعنى والمدلول الذي يتضمنه اصطلاح الأحكام الشرعية شيئا مختلفا تماما .

---

[١٤٦] نطق ، ص ٤٣٤.

أيها السادة ، كنت أتولى بنفسى رئاسة أولئك الذين وضعوا قانون المؤسسات الرئيسة الأول، وقد بذلت محاولات كثيرة لتوضيح أنه لا علاقة بين اصطلاح "الأحكام الشرعية "، وبين القوانين التى نقوم بوضعها ، ولكن لا يمكن إقناع أولئك الذين تصوروا أن هذا التعبير حسب زعمهم يعنى شيئًا آخر مختلف تماما .

النقطة الثانية أيها السادة ، كان قد ورد فى صدر المادة الثانية من قانون المؤسسات الرئيسة الجديد عبارة " أن الدين الإسلامى هو دين الدولة التركية" .

و سبب وضع هذه العبارة أيضا ، هو ما طرحه علىّ أحد المتحدثين[١٤٧] أثناء أحد مقابلاتنا الطويلة مع رجال الصحافة فى إزمير وفى استانبول قبل أن يدرج هذا فى قانون المؤسسات الرئيسة بوقت طويل. هذا السؤال هو " هل سيكون للحكومة الجديدة دين ؟ " .

ويجب أن أعترف أننى لم أكن أتمنى مطلقا أن يوجه إلىّ هذا السؤال. والسبب فى ذلك أننى تبعا لظروف ذلك الوقت، لم أكن قد رغبت بعد فى أن أقوم بالرد الواجب المختصر جدا فى ذلك اليوم . لأنه هناك بين الرعايا ، عناصر تنتمى إلى أديان مختلفة ، وكان من الضرورى أن يحظى أتباع كل دين بمعاملة عادلة ومحايدة، كما أن الحكومة المكلفة بتطبيق العدالة فى حق الأجانب والتبعة غير المسلمين فى محاكمها، هذه الحكومة مضطرة إلى أن ترعى حرية الأفكار والوجدان . بالتأكيد إنه

---

[١٤٧] المقصود هنا وليد أبو الضيا صاحب جريدة تصوير أفكار. وكان من كبار المثقفين فى ذلك الوقت وكان وطنيا وذو توجه إسلامى . انظر .Falih Rıfkkı Atay,a.g.e.,s. ٣٤٩-٣٨٢

ليس من الصواب تقييد الحكومة بصفات ستكون سببا فى توجيه هذه الصفة الطبيعية إلى معنى مشكوك فيه .

يفهمنى كل إنسان عندما أقول إن اللغة التركية هى اللغة الرسمية للدولة التركية ، وعليه فإن كل إنسان يرى أن الالتزام بالتعامل باللغة التركية فى المعاملات الرسمية فى دوائر الحكومة إنما هو أمر طبيعى. لكن إذا قلت إن الإسلام هو دين الدولة التركية الرسمى، تُرى فى هذه الحالة هل يمكن أن تؤدى هذه العبارة مدلولها بحيث يتقبلها الناس بنفس هذه الصورة؟ . هذا بالطبع أمر آخر يحتاج إلى إيضاح وتفسير .

أيها السادة ، لم أستطع أن أجب على سؤال ذلك الصحفى بقولى :" لا يمكن أن يكون للحكومة دين[١٤٨]" ، وقد قلت عكس ذلك . كان قولى : نعم هناك نص بذلك يا سيدى . إنه الدين الإسلامى". لكننى شعرت بضرورة توضيح وتفسير هذا الرد الذى قلته فأعقبت ذلك بقولى : إن الدين الإسلامى هو الدين الذى يكفل حرية الفكر.

لقد أردت القول ، أن الحكومة مكلفة ومقيدة باحترام الفكر والوجدان . وجد الصحفى الذى وجه إلىّ السؤال أن ردى عليه غير معقول البته، فكرر سؤاله مرة

[١٤٨] قرأ أتاتورك ما كتبه الثوريين العثمانيين مثل نامق كمال ، وعن طريقهم عرف الثورة الفرنسية التى أثرت فى تفكيره وفى حركته تأثيرا بارزا بأفكاره العلمانية والقومية.انظر، محمد حرب، المثقف وتغيير نظام الحكم، مرجع سبق ذكره، ص ٧٦.

أخرى على النحو التالى: أقصد هل ستلتزم الحكومة بدين معين ؟[149]، فقلت له: لا أعرف إن كانت الحكومة ستلتزم بدين أم لا . وأردت أن أغلق باب الحديث فى الموضوع لكن هذا لم يكن ممكنا . فى تلك الحالة قيل إن الحكومة ستمنعنى أو تعاقبنى بسبب طرح فكرة تتعلق بمسألة تدور فى دائرة معتقداتى وأفكارى. فى حين أن فى الوقت الذى نفكر فيه بعقولنا هل من الممكن أن يُجبر أى إنسان على كبت وجدانه؟ كنت أفكر فى ذلك الوقت فى أمرين؛ أحدهما، ألن يكون كل إنسان بالغ رشيد فى دولة تركيا الجديدة حرا فى اختيار دينه؟ والآخر، ما ذكره الشيخ شكرى أفندى من قوله : " إن ما فكرنا فيه مع بعض إخواننا من العلماء الكرام، موجود فى الكتب الشرعية، وهو من الأحكام الإسلامية المحددة والمستقرة... و من الأمور الواجبة واللازمة أن ننوّر الأفكار الإسلامية التى تبدو مع الأسف مشوشة. " ثم أردف قائلا بعد هذه المقدمة :" إن الخلافة الإسلامية هى خلافة النبوة فى أمر حفظ الدين وحراسته، وهى نيابة عن نبينا الرسول الأكرم فى إقامة الشريعة" .

و الواقع أن العمل على تطبيق ما قاله الشيخ ، كان يعنى العمل على القضاء على الحاكمية الشعبية و على حرية الوجدان. علاوة على ذلك ألا تتضمن خزينة معلومات الشيخ الوصفة الخاصة بالإدارة الاستبدادية والتى كتبت فى زمن اليزيديين؟ .

---

[149] نُطُق ، ص ٤٣٥.

أما وقد أصبحت تعبيرات الدولة والحكومة ومهمة المجالس، واضحة المفهوم والدلالة بالنسبة لكل إنسان، فمن أجل من ، ومن أجل ماذا يتم خداعهم بلفها بكسوة من الدين والشريعة؟ . ورغم أن هذه هى الحقيقة، فإن لم يتم تبادل الأفكار بشكل أكبر مع أركان المطبوعات فى إزميد فى هذا المناخ .

أيضا بعد إعلان الجمهورية، وأثناء إعداد قانون المؤسسات الرئيسة الجديد، تم السماح بإدخال تعبير يجعل المادة الثانية من القانون تفقد معناها وكان ذلك بقصد عدم إتاحة الفرصة لأولئك الذين يميلون بل ويسعون لاستخراج معنى اللادينية من اصطلاح " الحكومة العلمانية" .

كذلك التعبيرات التى بدا أنها زائدة ولا تتفق مع الشخصية العصرية للدولة التركية الجديدة والإدارة الجمهورية، والتى تضمنتها المادتين الثانية والسادسة والعشرين من القانون ، وهى تحمل تنازلات غير مضرة على الانقلاب والجمهورية فى ذلك الوقت.

كان يلزم على الشعب أن يلغى من قانون المؤسسات الرئيسة، هذه الزوائد فى أول وقت مناسب[١٥٠] .

أيها السادة ، عشنا فترة انتقالية على الوجه الذى تعلمونه وذلك لكى نستطيع الانتقال من عهد السلطنة إلى عهد الجمهورية. فى هذه الفترة حدث صراع مستمر

---

[١٥٠] نطق ، ص ٤٣٦.

بين فكرين واجتهادين . أحد هذين الفكرين ؛ كان (يرى) العمل على استمرار عهد السلطنة ، وكان المؤيدون لهذا الفكر صرحاء . الفكرالآخر، كان يرى تأسيس الحكم الجمهورى ، بوضع نهاية لحكم السلطنة. وكان هذا هو فكرنا . كنا نرى أنه محظور علينا التعبير عن فكرنا هذا صراحة. كنا مضطرين إلى إبعاد أفكار المؤيدين للسلطنة عن ساحة التطبيق[١٥١]، لكى نحفظ لوجهة نظرنا إمكانية التطبيق ، فنتمكن من تطبيقها فى الوقت المناسب. وكلما وُضِعَت قوانين جديدة ،كان مؤيدو السلطنة يصرّون على توضيح حقوق السلطان والخليفة، وصلاحياته ، خاصة عند وضع قانون المؤسسات الرئيسة. وكنا نرى الفائدة فى عدم التحدث فى هذه الجهة، فكنا نبين أنه لم يحن وقتها ، أو أنها ليست ضرورية. وكنا نسعى إلى جعل إدارة الدولة تتمركز فى دائرة أسس الحاكمية الشعبية، بالشكل الذى يتجه دوما نحو الجمهورية ، فى بدون الحديث عن الجمهورية بشكل مباشر. كان اللازم إثبات أنه يمكن إدارة الدولة بدون وجود منصبىّ السلطنة والخلافة ، والإصرار على الإيحاء بأنه لا توجد سلطة أكبر من مجلس الشعب الكبير. وبدون الحديث عن رئاسة الدولة ، كناقد أحلنا فعلا مهامها، إلى رئاسة المجلس .

فى الفعليات كان رئيس المجلس ، رئيسا ثانيا . كانت هناك حكومة. لكنها كانت تحمل عنوان " حكومة مجلس الشعب الكبير" كنا نتجنب الانتقال إلى نظام

[١٥١] نطق ، ص ٥٠٧.

الحكومة. لأن أنصار السلطنة كانوا سيطرحون عقب هذا مباشرة، ضرورة استعمال السلطان لصلاحيته . هكذا ؛ فى صفحات الصراع هذه ، فإن مخاصمينا وجدوا أن نظام حكومة مجلس الملة الكبير، بالشكل المتوسط، الذى نحن مجبرون على قبوله فى الفترة الانتقالية، (نظام) ناقص، - وهم على حق فى هذا- وعملوا على ضمان القول صراحة عن النظام المشروطى.كانوا يعترضون علينا، ويقولون أن هذا الشكل الذى تريدون عمله ؛ يشبه أى شئ وأى حُكم ؟ . وكنا بدورنا مضطرين إلى إسكات أنصار السلطنة ، بالإجابة عن هذا النوع من الأسئلة التى كانت توجه من أجل الإفصاح عن مقصدنا وهدفنا، بإجابات تتناسب مع مقتضيات الوقت[١٥٢] .

عندما تناول عصمت باشا موضوع زيارة رؤوف بك ورفاقه للخليفة، كان يرى الآتى: " إن مسألة زيارة الخليفة ، هى مسألة الخليفة " (وقال): "باعتبارى رجل دولة لا يمكن أن نخرج من خواطرنا أبدا فى أى وقت أن جيوش الخلافة قد حوّلت هذه البلاد من أولها إلى آخرها إلى خرابة. ولن نُبعد أبدا عن أعيننا احتمال عودة جيوش الخلافة إلى الظهور ... لقد عانى الشعب التركى من جيش الخليفة[١٥٣]

---

[١٥٢] نُطُق ، ص ٥٠٨.

[١٥٣] جيش الخليفة هو الجيش الذى أرسله السلطان الخليفة محمد وحيد الدين إلى الأناضول فى نهاية عام ١٩١٩م لمقاومة المتمردين فى أنقره(من نواب المجلس الذى كونه أتاتورك فى أنقره . وقد دعا السلطان وحيد الدين أعضاء هذا المجلس إلى استانبول ليكتسب المجلس صفة الشرعية. واستجاب غالبية النواب لدعوة السلطان إلا نفر منهم ومعهم أتاتورك. فأصدر السلطان مرسوما باعتبار أتاتورك =

أشد الاضطرابات ألما. ولن يعانِ مرة أخرى. إننا لن ننس فى أى وقت، أن فتوى الخلافة قد ألقت بنا إلى أتون الحرب العمومية. ولن ننسى أنه عندما أراد الشعب أن ينهض على قدميه، هاجمته فتوى الخلافة بصورة أشنع من أعدائه".

وإذا جال بخاطر خليفة فى أى فترة من التاريخ "[١٥٤] رغبة التدخل فى مقدرات هذا البلد، فسوف نطيح بهذا الرأس حتما.

إذا أراد أى خليفة أن يأخذ وضعا (ما)، كأن يكون له علاقة بمقدرات تركيا تراثا، أو شكلا، أو أصولا، أو ضمنا، أو صراحة، إذا فكر بذهنية مثل استمالة رجال تركيا، أو الالتفات إليهم، فسوف نعتبر هؤلاء ضد حياة البلاد، وضد موجوديتها تماما، وسنعتبر تصرفاتهم خيانة وطنية"[١٥٥].

= وأعوانه خارجين على القانون، وقد استجاب الشعب فى كل مكان ليقفوا فى صف الخليفة، وهبوا جماعات متفرقة لنصرة السلطان وأحرز جيش الخليفة نجاحا كبيرا ضد المتمردين، وبدا أن الفشل يلحق بأتاتورك ومن معه ويصف ارمسترونج ما حدث بعد ذلك فيقول " كانت البرقيات الوافدة ذات معنى واحد، مدينة بعد مدينة تستسلم لجيش الخليفة، وفشل وراء فشل يلحق (مصطفى كمال) فى كل مكان،وفى مستهل يناير ١٩٢٠، وصل نواب العاصمة واجتمع شملهم وأرسلوا برقية إلى السلطان يعربون فيها عن ولائهم له، وبدا الموقف وكأن الحلفاء ينهزمون داخل الأناضول وفى سوريا وشرق الأناضول، وبدأ الانجليز ينسحبون فى جميع الاتجاهات بعد أن سرحت جيوشهم، وبدأت مقاومة قوية للإنجليز، بناء عليه احتل الانجليز العاصمة استانبول احتلالا رسميا فى ١٦ مارس ١٩٢٠، واغلقوا البرلمان، ففر كبار أعضاؤه إلى أنقره، وبذلك تقوى موقف أتاتورك مرة أخرى" انظر، ارمسترونج، أتاتورك، مرجع سبق ذكره، ص ١٣١- ١٣٧.

[١٥٤] نتبين من عبارة عصمت باشا هذا أنه لم يكن يجول بخاطره حتى هذه اللحظة تصور يتعلق بإمكانية إلغاء الخلافة.

[١٥٥] نُطُق، ص ٥١٠. وكان بعض المثقفين المعاصرين لأتاتورك رغم اتفاقهم معه فى الفكر والثقافة،يعارضونه فى موقفه من الخلافة الإسلامية وكانوا يرون أن الخلافة الإسلامية هامة بالنسبة للجمهورية التركية للحفاظ على مكانة متميزة لها فى مواجهة السياسة الأوروبية ولا تنحدر مكانتها من دولة عظمى إلى مجرد حكومة لدولة صغيرة. با أنها لا تتعارض مع الشعور القومى، إنما هى جزء من

أيها السادة المحترمون، سأتناول مرة أخرى (موضوع) الخليفة والخلافة الذى كان يفرض بحثه من تلقاء نفسه، فى كل مسألة، وفى كل مرحلة إجراءات.

فى بدء عام ١٩٢٤، كان قد تقرر إجراء تمثيلية (مناورة) حرب فى نطاق واسع . كنا سنُجرى تمثيلية الحرب هذه فى إزمير . وبهذه المناسبة ذهبتُ إلى إزمير فى بدء يناير سنة ١٩٢٤ ، وبقيت هناك لمدة شهرين . وأنا هناك أصدرت الحكم بأنه قدحان وقت إلغاء الخلافة. وسألخص صورة جريان المسألة كما حدثت :

بتاريخ ٢٢ يناير ١٩٢٤ تلقيت من عصمت باشا رئيس الوزراء شفرة ، أعرضها كما هى [١٠٦]:

= القومية التركية من هؤلاء المثقفين حسين جاهد يالجين ، وهو صحافى تركى ذو توجه غربى دافع عن أتاتورك وعن إجراءاته، لكنه كان يرى أنه " إذا ضاعت الخلافة الإسلامية من الأتراك، فلن يكون للدولة التركية التى تتكون من خمسة عشر مليونا ، أهمية تُذكر فى العالم الإسلامى، وستنحدر مكانتها أمام السياسة الأوروبية إلى مجرد حكومة صغيرة عديمة القيمة... إن كل تركى يحمل فى قلبه شعورا بالقومية الحقيقة ، يجد نفسه مدفوعا إلى التعلق بالخلافة بكل ما أوتى من قوة " انظر،

çağlar kırçak, a.g.e., s.٢٣٦.

وأيضا، نُطُق، ص ٥٠٣

ويقول رضا نور فى مذكراته إنه كان مع فكرة إلغاء السلطنة لكن:" لم يخطر لى على بال مسألة إلغاء الخلافة، بالعكس لست أرى أن إلغاء الخلافة مضر، إلا إننى مقتنع بأن نجعل الخلافة قوة مستقلة عن الحكومة بشكل دينى ومستقل" انظر، رضا نور، ج٢، ص٥٥. ورأى البعض الآخر أن الخلافة لا تهدم، لكنها تصلح، وإنه كان يمكن تقويتها، وإنه بإلغاء الخلافة فقد المسلمون قائدهم فق قال رضا نور وهو مثقف تركى كان قريبا من أتاتورك كان يجاهر بإلحاده:" "إن الخلافة لا تهدم ، ولكنها تصلح، كان يمكن تقويتها، كم كان موسلينى مستبدا، ورغم هذا كان يعمل لتقوية البابا، إن هذا لقوة. وقد أصبح العالم الإسلامى مسكين ، بلا قائد ، بلا أمل." انظر، رضا نور، مرجع سابق.

[١٠٦] نُطُق ، ص ٥١١.

شفرة :

إلى مقر رئاسة جمهورية تركيا .

كتب إلينا السيد رئيس الكتاب مبينا أن الخليفة يشعر بتأثر كبير بسبب مايطالعه فى الصحف منذ فترة من نشريات تساعد على تكوين انطباعات سيئة عن الخلفاء ومقام الخلافة ، وهى نشريات تتم بلا سبب واضح وتضيع هيبة الخلافة والخلفاء، هذا فضلا عن شعوره بتباعد واجتناب أركان الحكومة خاصة الذين يترددون على استانبول من حين إلى آخر، وكذلك الهيئات الرسمية ، وتجنب الاقتراب منه. لهذا السبب ورغم إنه يأمل إبلاغ إحساسه وملاحظاته، بطريق إرسال كبير القرناء إلى أنقرة ، أو إرسال رجل موثوق فيه إليه (أى إلى الخليفة) فى استانبول ، إلا أنه صرف النظر عن هذا لدرء احتمال التعرض لسوء التفسير. وفصّل - باستفاضة - مسألة التخصيصات مضيفا ضرورة تدقيق وتأمين الإشعار الذى أصدرته الحكومة بتاريخ ١٥ أبريل سنة ١٩٢٣ بخصوص معاونة خزينة المالية فى المصاريف التى تخرج عن مكلفيات خزينة الخلافة والتى تفوق قدرتها . وسوف يُناقش هذه الكيفية ، هيئة مجلس الوزراء ، وسأعرض عليكم النتيجة فى حينها .

عصمت

وهذا نص البرقية التى كتبتها وأنا أمام الجهاز ردا على هذه البرقية :

السيد عصمت باشا رئيس الوزراء . أنقرة .

٢٢/ ١/ ١٩٢٣ بالشفرة :

إن مناخ سوء التلقيات، وسوء التفسيرات في حق مقام الخلافة وأشخاص الخلفاء، إنما منشأه طرز ونمط تحركات الخليفة نفسه. فالخليفة يبدو ملتزما بنهج أجداده السلاطين في الحياة الداخلية، وحياته الخارجية على نحو خاص. مثال ذلك مواكب يوم الجمعة، والعلاقات في صورة إرسال موظفين إلى الممثلين الأجانب (الدبلوماسيين) ، والجولات الفخمة ، وحياة القصر ، ومراسم القبول الذى يصل إلى درجة (استقبال) ضباط الاحتياط في قصره والاستماع إلى شكاواهم والبكاء معهم، وتصرفات (أخرى) من هذا القبيل . عندما نطالع وضع الخليفة في مواجهة الجمهورية التركية وشعب تركيا ، يجب أن ننظر بدقة إلى وحدة القياس بين وضع الخلافة والخليفة ، فمثله مثل وضع الملكية الانجليزية تجاه مسلمي الهند، ودولة الأفغان تجاه الأفغان . لابد أن يعرف الخليفة ، وتعرف كل الدنيا بشكل قطعي[١٥٧] أنه ليس هناك أي معنى سواء سياسي أو ديني أو حكمة لوجود الخليفة ومقام الخلافة القائم والمصان. وأن الجمهورية لا يمكن أن تدع كيانها واستقلالها عرضة للخطر بالسفسطة. إن مقام الخلافة بالنسبة لنا في النهاية لا يمكن أن يحظى بأهمية تزيد على كونه مجرد ذكرى تاريخية. إن طلبه اتصال رجال الجمهورية التركية والهيئات الرسمية به، هو اعتداء صريح على استقلال جمهورية تركيا، كما أن طلبه ابلاغ

[١٥٧] نطق ، ص ٥١٢.

إحساسه وملاحظاته إلى الحكومة عن طريق إرسال كبير ياورانه إلى أنقرة، أو إرسال أحد الموثوق فيهم إليه ، هذا أيضا يعنى أنه يضع نفسه ندا لحكومة الجمهورية فضلا عن أنه ليس له صلاحية بهذا . بالاضافة إلى ذلك فإن جعله لرئيس الكتاب وسيطا بينه وبين حكومة الجمهورية ، أمر زائد ، ويجب إبلاغ البك رئيس الكتاب ضرورة تجنب مثل هذه الأمور الوقحة . وتكفى مخصصات هى بالضرورة أقل مطلقا من مخصصات رئيس الجمهورية من أجل تأمين حياة ومعيشة الخليفة . فالغرض ليس الأبهة والفخامة ، إنما هى عبارة عن تأمين حياة ومعيشة إنسانية . كما أننى لم أستطع أن أفهم ما المقصود من خزينة الخلافة . ليس هناك خزينة للخلافة ، ولا يمكن أن تكون . وإذا كان قد ورث خزينة كهذه عن أجداده ، فأرجو أن تتفضل باستحصال وتقديم معلومات رسمية وواضحة . وما هى التكاليف التى لايمكن الوفاء بها بالمخصصات التى يأخذها الخليفة . وهل يوجد أى إشعار أو توقيت للحكومة بتاريخ ١٥ أبريل سنة ١٩٢٣. لطفا، تفضلوا بإشعارنا بهذا أيضا. إن تصريح وتثبيت مقر إقامة الخليفة ، كانت وظيفة يجب أن تقوم الحكومة بها إلى الآن، فالقصور الكثيرة التى شيدت فى استانبول بالأموال التى اقتطعت من أفواه الشعب ، والأشياء والمقتنيات القيمة التى بداخل هذه القصور ، تمحى وتهدر نتيجة عدم تحديد الحكومة لأوضاعها[١٥٨] . وهناك روايات تقول: إن منسوبو الخليفة، يبيعون الأشياء

---

[١٥٨] بعدما أصبح أتاتورك رئيسا للجمهورية التركية كان يفضل أثناء تواجده فى استانبول أن يقيم فى قصر طولمة باغجه الذى شيده السلطان عبد المجيد، وكان يقول:" هذا القصر الآن ليس قصر ظل الله=

القيّمة التى فى القصور ، فى أماكن متفرقة فى حى " بك اوغلى"[١٥٩] . وكان يجب على الحكومة أن تقوم بهذا من قبل . وإذا كان لابد من البيع ، فالأولى أن تقوم الحكومة بالبيع . ولابد من مواجهة وتنظيم كادر موظفى الخلافة بشكل أكثر جدية . فوجود كبير الياوران والكتّاب ينبغى ألا يُغرق الخليفة الآن فى حلم السلطنة. إننا نجد الفرنسيين يحظرون دخول الملك والأسرة الملكية ومنسوبيها إلى فرنسا ، رغم مرور مائة سنة (على الثورة الفرنسية) وحتّى اليوم ، وذلك من أجل استقلالهم وحاكمياتهم، بينما نحن فى تعاملنا مع الأسرة التى تنظر كل يوم وتدعو أن تشرق شمس السلطنة من الأفق ، ومع التابعين لها يجب ألا نجعل الجمهورية التركية ضحية نعومة القول وسفسطة الكلام. يجب أن يعرف الخليفة صراحةً ماذا يعنى وجوده ،

= على الأرض، إنه قصر الشعب والشعب حقيقة وليس ظل. كم أنا محظوظ لإننى ضيف على هذا القصر باعتبارى فرد من الأمة." ولم يغادر أتاتورك هذا القصر بعد ذلك، بل كان يقيم فيه كلما جاء إلى استانبول، وفى السلطان الخليفة العثمانى ، لفظ أتاتورك أنفاسه الأخيرة، انظر، Cemal Granda, Atatürk'ün Uşağı Idim, s.١٥.

[١٥٩] قبل أن يغادر السلطان وحيد الدين استانبول، أعاد إلى الخزينة الهمايونية ثمن كتاب منمنمات اسمه " قيافتنامه"وقيمته حوالى مليونان من عملة ذلك الوقت. وقد أشار عليه بعض المقربين له أن يحتفظ بكل الهدايا التى قدمها الحكام لأجداده السلاطين ولأفراد الأسرة العثمانية باعتبارها ملكا خالصا له ، فرفض السلطان وحيد الدين، وحذا حذو الخلفاء الراشدين بقوله" إن هذه الهدايا قدمت لأجدادى باعتبارهم حكام هذه الأمة، فإن لم يكونوا حكامها فمن ذا الذى كان سيقدم لهم هذه الهدايا. لذا فهذه الأشياء والمقتنيات القيمة النادرة هى من حق الملة مثلما هى من حقى. وأنا لا يمكن أن أقبل هذا بغير حق" انظر

Kadir Mısıroğlu,Hilâfet,,s.٢٠٨/٢٢٤،

نقلا عن

Refii Cevad, Bu Gözler Neler Gördü,.Tercüman Gazetesi ١٨ Kasım ١٩٦٩

وماذا يعنى مقامه ، ويجب أن يكتفى بهذا .وأرجو ياسيدى إشعاره باتخاذ الحكومة تدابير جادة وأساسية

رئيس الجمهورية التركية

الغازى مصطفى كمال .

بعد هذه المخابرة، جاء عصمت باشا، وأيضا كاظم باشا وكيل المدافعة الشعبية، إلى إزمير بمناسبة تمثيلية الحرب. وكان هناك أيضا فوزى باشا رئيس الأركان الحربية العمومية. كانت قناعاتنا متفقة على ضرورة إلغاء الخلافة. وكنا قد قررنا إلغاء وزارة الشرعية والأوقاف فى الوقت نفسه وكذلك توحيد التدريس.

فى اليوم الأول من شهر مارس سنة ١٩٢٤، كان يجب أن أقوم بافتتاح المجلس. فرجعنا إلى أنقرة يوم ٢٣ فبراير ١٩٢٣. وهناك أيضا أخبرت الأشخاص الذين يتوجب إخبارهم بقرارى[١٦٠] .

استمر المجلس فى مناقشة الميزانية، وكان اللازم التوقف عند تخصيصات الأسرة (العثمانية) وميزانيات وكالة الشرعية والأوقاف. بدأ الأصدقاء ، فى سرد البيانات وتوجيه النقد الموجه فى اتجاه الناحية المقصودة. وكان هذا يدفع إلى استمرار المذاكرة والمناقشة. وفى الخطاب الذى ألقيته فى اليوم الأول من مارس بمناسبة سنة المساعى[١٦١] الخامسة لمجلس الشعب الكبير ، أشرت بشكل خاص إلى

---

[١٦٠] نُطُق ، ص ٥١٣.

[١٦١] سنة المساعى تعنى دورة الانعقاد.

تلك النقاط الثلاث :

١) يطلب الشعب العمل على أن تكون الجمهورية مصانة قطعيا وأبديا من كل الاعتداءات حاليا ومستقبلا. ويمكن التعبير عن طلب الشعب فى صورة تدفع إلى بناء الجمهورية تماما ومن اللحظة الأولى على كافة الأسس المجردة والمُثبتة.

٢) إننا نرى ضرورة تطبيق توحيد أساس التربية والتدريس المثبّتة فى الأراء العمومية للشعب بلا تفويت لحظة واحدة.

٣)نحن بدورنا نرى حقيقة ، هذه الحقيقة هى ضرورة تنزيه وإعلاء الدين الإسلامى عن موقع الأداة السياسية على الوجه الذى جرى العمل به منذ عصور.

وفى يوم ٢ مارس وجهت الدعوة إلى الحزب للاجتماع، وصارت هذه المسائل الثلاثة موضوع بحث ومذاكرة. وتم التفاهم على الأسس. وفى يوم ٣ مارس ، فى الجلسة الأولى للمجلس، قُرئت التقارير التالية ضمن الأوراق الواردة:

١) اقتراح مشروع قانون من الشيخ صفت أفندى وخمسين من رفاقه يتعلق بإلغاء الخلافة وإخراج الأسرة العثمانية إلى خارج تركيا .

٢) اقتراح مشروع قانون من خليل خُلقى أفندى مبعوث "سعرد" وخمسين من رفاقه يتعلق بإلغاء وزارتى الشرعية والأوقاف والأركان الحربية.

٣) وردت تقارير من واصف بك مبعوث صاروخان وخمسين من رفاقه، تتعلق بتوحيد التدريس.

بيّن فتحى بك رئيس المجلس قائلا: ياسيدى! هناك اقتراحات بتوقيعات متعددة خاصة بمناقشة مشروعات القوانين التى وردت ، على الفور. وسوف نأخذ الأصوات على رأيكم العالى. وطرح مناقشتها فى الحال بدون الذهاب إلى اللجان. وبيّن أنه تمت الموافقة.

كان خالد بك مبعوث قسطمونى أول من اعترض . و أثناء المذاكرة انضم إلى خالد بك إثنان آخران . واعتلى المنصة كثير من الخطباء المعتبرين وأوردوا بيانات طويلة لصالح الاقتراح . وعلاوة على أصحاب التقرير، قال المرحوم سيد بك[١٦٢]، وعصمت باشا خطبتين علميتين مقنعتين جديرتين بالمطالعة فى كل وقت. واستمرت المذاكرة و المناقشة خمس ساعات ، وعندما انتهت المذاكرة فى الساعة السادسة وخمس وأربعين دقيقة ،كان مجلس الشعب الكبير يصدر القوانين ٤٢٩ ، ٤٣٠ ،

[١٦٢] سيد أفندى هذا هو أحد تلامذة جمال الدين الأفغانى الذين اختارهم فى استانبول . وهذه الخطبة التى ألقاها فى البرلمان فى جلسة ٣ مارس ١٩٢٤ التى تقرر فيها إلغاء الخلافة الإسلامية . وقد طبعت فى كتيب صدر فى استانبول عام ١٩٢٤ بعنوان " الخلافة ماهيتها الشرعية" . وفى هذه الخطبة قدم سيد بك الصيغة القانونية للإلغاء الخلافة الإسلامية انظر محمد حرب، السلطان عبد الحميد، مرجع سبق ذكره ، ص١٨٠ .قال سيد بك فى خطابه هذا " إننا نقوم الآن بانقلاب عظيم فى تاريخ الاسلام، ولا يمكن أن يكون هناك انقلاب أكبر منه" .ولم يحدث إلى الآن انقلاب كهذا فى عالم الإسلام.وربما كان هذا الانقلاب هو أكبر الانقلابات التى حدثت على وجه الأرض. ثم تناول مسألة الخلافة مؤكدا ان الخلافة لا علاقة بينها وبين الاعتقاد.وأن الخلافة لا تعنى سوى الحكومة" وساق عددا من المبررات القانونية التى اعتمد عليها أتاتورك فى إلغاء الخلافة ، انظر سيد بك ، خلافت ماهيت شرعيه سى، انقره، توركيه بيسوك ملت مجلسى مطبعه سى، ص٣ وما بعدها. وقد تكلم أتاتورك عقب انتهائه من إلقاء خطابه ، مع سيد أفندى وقال له:" لقد أسديت خدمتك الأخيرة،. لقد علمتنى أن لا مكان للخلافة فى الدين " مشيرا فى ذلك إلى رسالة سيد أفندى ،انظر،

Falih Rıfkı Atay, Cankaya, s.٣٨٨.

٤٣١، وبموجب هذه القوانين أصبح مجلس الشعب التركى الكبير والحكومة التى يشكلها حق تشريع وإنفاذ الأحكام المتعلقة بمعاملات الناس فى جمهورية تركيا. وألغيت بذلك وزارة الشرعية والأوقاف [١٦٣]. على أن تنتقل إلى وزارة المعارف المؤسسات العلمية والتدريسية بل وكل المدارس الموجودة فى تركيا.

خُلِع الخليفة، وأُلغِىَ مقام الخلافة، ومُنع الخليفة المخلوع، وكل أفراد أسرة السلطنة العثمانية البائدة، من حق الإقامة داخل حدود الجمهورية التركية إلى الأبد.

أيها السادة، كان بعض الأشخاص ممن ذهبوا إلى أن فى المحافظة على مقام الخلافة منافع وضرورات دينية وسياسية، قد اقترحوا فى الدقائق الأخيرة عند أخذ القرارات التى عرضتها، إسناد مقام الخلافة إلىّ. وكان ردى الفورى على مثل هؤلاء هو الرفض.

وعلى ذكر هذا هناك نقطة أخرى يلزم أن أعرضها. عندما قرر مجلس الشعب التركى الكبير إلغاء الخلافة، كان راسخ أفندى مبعوث أنطاليا - وهو من العلماء - موجودا فى الهند [١٦٤] على رأس هيئة الهلال الأحمر وعاد راسخ أفندى إلى

---

[١٦٣] نطق، ص ٥١٤.

[١٦٤] عقد مسلمو الهند مؤتمر الخلافة واتخذوا قرارين؛ القرار الأول تأييد الإجراءات التى تتخذها أنقرة فيما يتعلق بالخلافة، ويرون أنه من الأنسب أن يكون اختيار الخليفة بالانتخاب، والقرار الثانى، هو إطلاق لقب "سيف الإسلام"، "ومجاهد الإسلام" على أتاتورك. وقد أرسلت جريدة زميندار التى تصدر فى لاهور، ممثلين لها يحملون هديتهم إلى أتاتورك، كما عقدت جمعية الخلافة التى كونها اتحاد مسلمى الهند اجتماعا غير عادى اتخذت فيه قرارات تعبر عن فهمهم لما يقوم به أتاتورك ومفا هذه القرارات أن ما يقوم به أتاتورك الملقب بالغازى هو خدمات مخلصة للإسلام والأمة، وأن المسلمين يعترفون ويصادقون على مجاهدته الإسلامية" ومثل هذه القرارات توضح أن المسلمين فى الهند= =

أنقرة مرورا بمصر وطلب منّى مقابلة. وصرّح بالآتى :

إن المسلمين فى البلاد التى طاف بها، يريدون أن أكون الخليفة ، وأن الهيئات الإسلامية صاحبة الصلاحية، قد وكلت راسخ أفندى فى تبليغ هذا الأمر إلى. وكان ردى بعد الشكر لتوجه ومحبة المسلمين نحوى، أن قلت له: إن ذاتك العالية من علماء الدين وتعرف أن الخليفة يعنى رئيس الدولة . فكيف يمكن أن أقبل رغبة واقتراح التبعة الذى نقلته إلى ، وعلى رأس تلك الشعوب ملوك وأباطرة . فإذا قلت أننى قبلتُ هذا، فهل يرضى به ملوك وأباطرة هذه الشعوب ؟. إن الخليفة يأمر وينهى ، والذين يريدون أن يجعلونى خليفة ، هل هم قادرون على إنفاذ أوامرى ؟. بناء عليه، فالموضوع هو ؛ أليس من المضحك حمل صفة موهومة ليس لها مدلول؟ .

أيها السادة ، يجب أن أقول بوضوح وحسم، إن أولئك الذين يسعون لشغل وإغفال المسلمين بوهم الخليفة ، هم فقط أعداء المسلمين وأعداء تركيا بالذات. وإن ربط الخيال بلعبة كهذه ، يمكن أن يكون فقط وفقط نتيجة للجهل والغفلة .

إن السعى المتحمس والجهود المتضافرة ضدنا التى يقوم بها أتباع رؤوف بك،

مرتبطون بمقام الخلافة، وأنهم لا يرونها فى غير الأتراك، كما أنهم لم يتوقعوا أن أتاتورك يستهدف إلغاء الخلافة تماما. انظر،

Mim Kemâl öke, Güney âsya Müslümanları'nın Istiklâl Davası ve Türk Milli Mücadelesi "Hilâfet Hareketi ", kültür ve türizm bakanlıği, ١٩٨٨,s.١٠١.١١٧

ووهبي باشا، وجركس أدهم، ورشيد ، وكل المائة والخمسين[١٦٥]، وكذلك منسوبو أسرة الخلافة والسلطنة الملغاة، بل وكل أعداء تركيا، هل يمكن أن يقع كل هذا بدافع الحرص على الدين؟ هل هى مقدسة فعلا مقاصد عصابات قطاع الطرق، والمراكز المتاخمة لحدودنا، الذين يعملون ضدنا بجنون ، عن طريق ترتيب المؤامرات ، تحت شعار الثورة المقدسة من أجل محو تركيا الآن ؟. ولكى نعتقد فى هذا الأمر اعتقادا حقيقيا ، يجب أن نكون فى منتهى الغفلة ومنتهى الجهل.

لن يكون سهلا بهذا القدر افتراض أن الأمة الإسلامية والشعب التركى انحدروا إلى هذا الدرك. و(ليس سهلا أيضا) الاستمرار فى طريق استغلال النزاهة الوجدانية والرقة الخُلقية للعالم الإسلامى ، من أجل مقاصد منحطة وإجرامية. إن للوقاحة أيضا حد[١٦٦] .

١٦٥

١٦٦ نُطق ، ص ٥١٥.

المصادر والمراجع

أولا: المصادر العربية :

*عبد العزيز جاويش، الخلافة الإسلامية ، مطبعة العدل ، دار الخلافة العظمى، ١٣٣٤

* لطفى باشا ، خلاص الأمه فى معرفة الأئمة، مخطوط، مكتبة ايا صوفيا ٢٨٧٧

* مُنَجِّم باشى احمد دده، جامع الدول،مخطوط بايزيد رقم ٥٠٢٠ ٢

ثانيا : المراجع العربية:

* أحمد فؤاد متولى، الفتح العثمانى للشام ومصر ومقدماته من واقع الوثائق والمصادر التركية والعربية المعاصرة له ، دار النهضة العربية، ١٩٧٦ .

*أبو حسن على بن محمد بن حبيب البغدادى" الماوردى، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ، مكتبة البابى الحلبى ، ط١، القاهرة ١٩٦٠.

*عبد الدايم أبو العطاء البقرى الأنصارى، الفلسفة السياسية للإسلام، ط٢، ١٩٥٥

*عبد العزيز سليمان نوار، وعبد المجيد نعنعى، التاريخ المعاصر ، أوروربا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧٣.

*محمد حرب،المثقف وتغيير نظام الحكم،حالة أتاتورك ،مركز بحوث آسيا، الزقازيق ٢٠٠٠م

*ـــــــــ، السلطان عبد الحميد الثانى، آخر السلاطين العثمانيين الكبار، اعلام المسلمون ٣٠،ط١، دار القلم دمشق، ١٩٩٠،

*ـــــــــ، العثمانيون فى التاريخ والحضارة ، دار القلم ، دمشق، ١٩٨٩.

*ـــــــــــ، موقف العلماء من السلطة، رؤية بديع الزمان سعيد النورسى فى إطار أدب شؤون الحكم العثماني والتركي، ست الحكمة ، القاهرة، ١٩٩٧.

*محمد سلام مدكور، المدخل للفقه الإسلامى، ط١، ١٩٦٠.

*ـــــــــــ، مباحث الحكم عند الأصوليين،دار النهضة العربية ،ط٢، ١٩٦٤.

ثالثا: المصادر العثمانية:

* اسماعيل شكرى خواجه، خلافت اسلامية وبيوك ملت مجلسى، انقره ١٣٣٣.

* سيد بك ، خلافت ماهيت شرعيه سى، انقره، توركيه بيوك ملت مجلسى مطبعه سى، ١٩٢٤.

* مصطفى كمال (غازى)، نُطق، تورك طياره جمعيتى، انقره ١٩٢٧.

* مصطفى كمال (أتاتورك)، خلافت وسلطنت مسئله سسى حقنده توركيا بيوك ملت مجلسى رئيسى غازى مصطفى كمال باشا حضرتلرينك نطقلرى،قسطمونى مطبعه سى، ١٣٣٨

رابعا:المراجع العثمانية:

*أحمد جودت باشا، تاريخ جودت أزترتيب جديد،مطبعهٔ عثمانية، استانبول، ١٣٠٢

*قوجى بك، قوجى بك رساله سى، برنجى طبع، قسطنطينية ، ١٣٠٣.

*محمد الأمين المكى، خلفا عظام عثمانية حضرتلرينك حرمين شريفينده كى آثار مبرورة ومشكوره همايونلرندن، در سعادت ١٣١٨هـ.

خامسا: المراجع التركية:

*Adbulkadir Altünsu, Osmanlı Seyhülislâmları, Ankara 1972.

*Ali Naci Karacaan, Lozan,Milliyet Yayınları,2 Baskı, 1971.

*Atilla Yargıcı, Kemalizm'in Fikir Kaynakları, Ittihad Yayıncılık Istanbul 1993.

*Camal Granda, Atatürk'ün Uşağı Idim, Hürriyet Yayınları:62

*Celâl Bayar ,Ben De Yazdım, ikinci Baskı, Istanbul 1967.

*Cemal Kutay, Talat Paşa'nın Gurbet Hatıraları, ikinci Baskı, c.2,

*çağlar kırçak, Meşrutiyetten günümüze Gericilik (1876-1950)Bilar Yayınları,Istanbul , 1989.

*Doğu Perinçek, Din ve Allah,2. Basım,Kaynak Yayınları, istanbul 1994

*Enver Kartekin, Devrim Tarihi ve Türkiye Cumhuriyeti Rejimi,Sinan Yayınları, Istanbul 1973

*Enver Ziya Karal, Atatürk'ten Düşünceler, Devlet Kitapları Istanbul 1986,

*Falih Rıfkı Atay, çankaya,Batış Atatürk Dizisi, Istanbul 1998

*Gazi Mustafa Kemal, NUTUK, Devlet Basımevi, Istanbul, 1938.

*Gürbüz D. Tüfekçi, ATATüRK' ün Okuduğu Kıtapları " özel Işaretleri, Uyarıları ve Düşütüğü Notlar ile,Türkiye Iş Banksı Kültür Yayınları, Atatürk Dizisi : 25,Yonca Matbaası, Ankara 1983,

*Hasan Gümüşoğlu, Islam'da Imamet ve Hilafet, Kayhan Yayınevi, Istambul ,mayıs 1999.

*Hilmi Ziya Ulken,Türkiye'de Cağbaş Düşünce Tarihi, Istanbul 1979.

*Ihsan Süreyya Sırma, II Abdülhamidin Islam Birliği Siyaseti, Acar Matbaaci,Istanbul 1985.

*Ismail Hakkı UzunçarşıLı, Osmanli Tarihi, Türk Tarih Kurumu, Ankara, 1972,

*Ismail Hami Danişmend, Izahlı Osmanlı Tarihi Kronolojisi, türkiye Yayınevi,Istanbul, 1971,

*Kadir Mısıroğlu, Hilafet.Sebil Yayın eyi,Istanbul 1993.

*Mehmet Doğan,Kemalizm,Esra Yay. Konya 1994.

*Mim Kemâl öke, Güney Asya Müslümanları'nın Istiklâl Davası ve Türk Milli Mücadelesi "Hilâfet Hareketi ", Kültür ve Türizm Bakanliği, 1988.

*Murat Bardakçı, şahbaba, Pan Yayıncılık, Yedinci Basım, kasım 1999,

*Mustafa Nuri, Netayic Ul -Vukuat, Türk Tarih Kurumu. Ankara 1979

*Mustafa Onar, Atatürk'ün Kurtuluş Savaşı Yazışmaları, kültür Bakanlığı, Atatürk Dizisi/45,c.2,Ankara,1985,

*Necip Fazil Kısakürek, şultan Vahidüddin, 2.baskı, B.D.Yayınlar, Istanbul 1975,

*Niyazi Berkes, Türkiyede çağdaşlaşma, Doğu - Batı Yayınları, Istanbul 1978

*Riza Nur, Hayat ve Hatıratlm, Altlndağ Yayınevi, Istanbul 1967,

*Seref Aykut,KAMALIZM, , Muallım Ahmet Halit Kitap Evi,Istanbul 1936,

*Sevket Süreyya Aydemir,Ikinci Adam,Remzi Kitabevi, Istanbul,,7 Basım,,Istanbul, 1973.

*Yilmaz öztuna, Osmanli Devleti Tarihi, Istanbul 1986.

*Ziya Nur Aksun, Osmanlı Tarihi, ötüken Neşriyat, Istanbul, 1994,

سادسا: المراجع المترجمة:

*أكمل الدين احسان أكمل الدين احسان (اشراف وتقديم) الدولة العثمانية تاريخ وحضارة(مجموعة مؤلفين)، نقله إلى العربية صالح سعداوى، منظمة المؤتمر الاسلامى، مركز الابحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية، استانبول، ١٩٩٩(مترجم عن التركية)

*توماس أرنولد، الخلافة، ترجمة جميل معلى، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، ١٩٤٦(مترجم عن الإنجليزية)

* عبد الحميد الثانى (السلطان) المذكرات، ترجمة محمد حرب، كتاب الهلال ١٩٨٥ (مترجم عن التركية)

*هـ. س. ارمسترونج،أتاتورك (الذئب الأغبر)، ترجمة حلمي مراد، دار المعارف ، ١٩٧٦(مترجم عن الإنجليزية)

*Bernard lewis, Modern Türkiye'nin Doğuşu,Türk Tarih Kurumu,Ankara 1984(مترجم عن الإنجليزية)

*Lord Kinross, Atatürk, Sander Yayınevi, Beşinci Baskı, istanbul, 1973.(مترجم عن الإنجليزية)

سادسا: الرسائل العلمية:

*Muhammed Harb, I. Selim'in ve Mısır Seferı,Doktora Tezi,listanbul Universitesi, Edebiyat Fakultesi., Istanbul 1980

سابعا: القواميس ودوائر المعارف

* شمس الدين سامي، قاموس تركي، اقدام مطبعه سي ، درسعادت ١٣١٧.

* Mustafa Nihat Ozon, Osmanlica / Turkce Sozlugu, Inkilap ve Aka 6. Basim, Istanbul 1979,

*Omer Sami Coşar, Atatürk Ansiklopedisi, Istanbul 1973

قائمة الاختصارات

c. = cilt
s. = sayfe
a.g.e. = aynı geçen eser

الفهرست